الأسرة والموهبة

«دراسة حالة لدور الأسرة المصرية في اكتشاف ورعاية الموهوبين»

د. أحمد بدر (*)

ملخص الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية للتعرف على الدور الذي تلعبه الأسرة المصرية في اكتشاف ورعاية أبنائها الموهوبين. وتحددت مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي: إلى أي مدى تستطيع الأسرة المصرية المشاركة الفعالة في اكتشاف وصناعة الموهوبين في مصر؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، اعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة الذي أمكن من خلاله الاعتماد على عدة طرق في جمع البيانات كالمقابلات المتعمقة، والملاحظة، وغيرها. وتضمنت عينة الدراسة ٢١ موهوبًا في المجالات الفنية والرياضية والعلمية، إلى جانب أولياء أمورهم، وخمسة من المسؤولين العاملين في بعض مؤسسات اكتشاف ورعاية المواهب في مصر. وخلُصت الدراسة إلى أن الدور الذي تلعبه الأسرة المصرية في اكتشاف المواهب ورعايتها يُعد جوهريًا، ومكملًا للأدوار التي تقدمها المؤسسات الحكومية والأهلية.

الكلمات المفتاحية:

الموهبة، الموهوب، النبوغ، الأطفال الاستثنائيون، الذكاء، الإبداع، الأسرة.

(*) مدرس بقسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

Family and Giftedness: A case Study of the Egyptian Family's Role in Identifying and Nurturing Gifted Children

Dr. Ahmed Badr

Abstract:

The current study aims to determine the role of the Egyptian family in identifying and nurturing their gifted children. The research problem of the study was summarized in the following question: To what extent can the Egyptian family effectively participate in the identifying and nurturing of gifted children in Egypt? To answer this question, the study utilized the case study approach by using in-depth interviews and observation methods, among others. The study sample included 21 gifted children, 21 parents, and 5 leaders who are working in the gifted institutions. This study concluded that the role of the Egyptian family in identifying and nurturing talent is fundamental and complementary to the roles provided by governmental and private institutions.

Keywords*:*

Giftedness, Gifted children, Talent, Exceptional children, Intelligence, Creativity, Family

أولاً- مقدمة في موضوع الدراسة وأهميتها:

تقترن النهضة الحديثة في كافة المجتمعات الإنسانية بدرجة التقدم العلمي فيها، وبقدرة تلك المجتمعات على الاستفادة من ثرواتها ومواردها المختلفة، خاصة البشرية منها، حيث يُعد الاستثمار في بناء البشر مقياسًا حقيقيًا لدرجة تقدم أي أمة وتطورها (السباتين، ٢٠١١: ص١). وتحظى فئة الموهوبين والنابغين بجانب كبير من هذا الاهتمام وذلك الاستثمار؛ على اعتبار أن هذه الفئة هم وقود التنمية الحقيقي في أي بلد، وقوة الدفع الحقيقية للنهوض الاقتصادي والثقافي والحضاري للمجتمعات. ونتيجة لذلك تستهدف الكثير من دول العالم المتقدم والنامي هذه الفئة باكتشافها ورعايتها، إيمانًا منها بأن الاستثمار الحقيقي في بناء الإنسان المعاصر لم يعُد مقصورًا على إتاحة فرص للتعليم الجيد لجميع السكان في سن التعليم، وإنما أيضًا تطوير منظومة تعليمية وثقافية واجتماعية متكاملة قادرة على اكتشاف ورعاية الموهوبين والنابغين والمبدعين.

وبقدر ما يتسم أي مجتمع بالتنوع والثراء البشري بقدر ما تزداد فرص واحتمالات وجود نوابغ ومواهب بين أبنائه، إلا أنه لا يوجد اتفاق بين الباحثين في تقديرهم لنسب انتشار الموهبة في المجتمعات الإنسانية، فقدرها تيرمان بنسبة أقل من ١٪ من إجمالي السكان، بينما تتراوح هذه النسبة ما بين ٣-٥٪ وفقًا لتعريف مارلاند للموهبة، وتصل عند رينزولي إلى أكثر من ٢٠٪ من جملة سكان أي مجتمع (Bélanger and Gagné, 2006). وبرغم هذا الاختلافات في الآراء إلا أنها تُعد مُبشرة خاصة في ظل الثروة البشرية الهائلة التي بات يمتلكها مجتمعنا المصري، وتجاوزت بحسب آخر التقديرات ١٠٠ مليون نسمة، والتي يترتب عليها احتمالات وجود عدد كبير من أصحاب المواهب البشرية المتميزة في مختلف المجالات. وبقدر ما تمثله معدلات النمو السكاني المتزايدة من عبء ثقيل على عوائد التنمية، إلا أنها قد تُشكل هبة ومنحة ديموجرافية هائلة إذا ما أُحسن اكتشافها ورعايتها، خاصة وأن جزءًا كبيرًا من هذه الكتلة البشرية في مصر تتركز في فئتي

الشباب ومن هم دون سن الثامنة عشرة، إلا أنه لا بد من الأخذ في الاعتبار بأن عددًا كبيرًا من الموهوبين والنابغين رغم وجودهم بين السكان، إلا أنهم يكونون محجوبين عن الأنظار، ولا تستطع المنظومة التعليمية أو الثقافية التقليدية اكتشافهم. وبحسب الدراسات الخاصة بالموهبة والإبداع فإن من بين كل أربعة موهوبين في مصر يتم اكتشاف موهوب واحد فقط (درويش وآخرون، ٢٠٠٩).

وفي سبيل عمليات الاكتشاف للمواهب وتنميتها، تضطلع مؤسسات عديدة بهذه المهمة، بعض هذه المؤسسات تكون رسمية توليها الدولة اهتمامًا مباشرًا، وتحرص على تطويرها وتوجيهها باستمرار؛ بحيث تعكس هذه المؤسسات في النهاية فلسفة الدولة وتوجهاتها في بناء مواطنيها وتأهيلهم ليكونوا قادرين على المنافسة والابتكار وقيادة عجلة التقدم في المستقبل. وتأتي في مقدمة هذه المؤسسات الرسمية المؤسسات التعليمية من مدارس ومراكز متخصصة للموهوبين والنابغين، ثم الأندية الرياضية ومراكز الشباب، ومراكز الفكر والإبداع والفنون والثقافة، ومؤسسات المجتمع المدني المعنية بهذه الفئة. وإلى جانب هذه المؤسسات الرسمية، هناك مؤسسات اجتماعية لا تتخذ الطابع المؤسسي الرسمي، لكنها تضطلع بدور كبير في عمليات الكشف عن المواهب وصناعتها، ولا يقل هذا الدور في أهميته عن الدور الذي تقوم به المؤسسات الرسمية السابقة، بل يُعد أساسيًا في أوقات كثيرة وموازيًا ومكملًا في الوقت نفسه للجهود الرسمية المبذولة في هذا الشأن. وتتضح أهمية هذه الأدوار خاصة في ظل غياب أو ضعف القدرات المؤسسية الرسمية على الاكتشاف والرعاية للنوابغ. وقد درج علماء الاجتماع على إطلاق مصطلح مؤسسات التنشئة الاجتماعية على كافة المؤسسات التي تضطلع بمهمة بناء الإنسان في كل زمان ومكان، سواء كانت رسمية أو غير ذلك.

وتُعد الأسرة واحدة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية للأفراد في أي مجتمع، وترجع أهميتها إلى كونها المؤسسة الأولى من مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي يتشكل فيها الكثير من سلوكيات الأفراد ومهاراتهم منذ وقت مبكر من حياتهم،

فتأثير الأسرة على سلوكيات الأفراد يسبق تأثير كافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى. ويزداد دور الأسرة في أي مجتمع وضوحًا عندما تتولى الأسرة مسؤولية اكتشاف النوابغ والموهوبين من أبنائها ورعايتهم، كما يتضح هذا الدور أيضًا إذا ما علمنا أن جُل عمليات الاكتشاف والرعاية للمواهب والنوابغ تعتمد اعتمادًا أساسيًا على الدور الذي تقوم به الأسرة تجاه أبنائها، وأن نجاح أو فشل برامج الاكتشاف والرعاية للمواهب تتوقف بدرجة كبيرة على مقدار تفهم الأبوين لمفهوم الموهبة، والسمات السلوكية للموهوبين، وكيفية التعامل معهم، وطرق الدعم الممكنة لتلك المواهب، والمعوقات التي تعوق الموهبة، وغيرها من الأمور الأخرى. ولذلك، تُولي الكثير من برامج الاكتشاف والرعاية للمواهب –خاصة التي تقدمها مؤسسات مجتمع مدني- في الكثير من دول العالم المتقدم اهتمامًا كبيرًا بآباء وأمهات الأطفال الموهوبين، وتقدم لهم صورًا مختلفة من الدعم والمساندة التثقيفية والإرشادية والتدريبية بهدف تطوير معرفتهم بشأن كيفية التعامل الأمثل مع أبنائهم من ذوي الإمكانيات والقدرات الاستثنائية، وللمساعدة على خلق مناخ عائلي صحي يُعزز الموهبة والنبوغ، ويُشجع على الإبداع اليومي المستمر؛ وانطلاقًا من افتراض أساسي مؤداه أن الأسرة هي أول محطات الاكتشاف، والمكان الأول لصناعة المواهب ورعايتها (Saranli and Metin, 2014).

وتشير الشواهد الأولية إلى أن عمليات اكتشاف ورعاية المواهب في مصر ما هي إلا مزيج ما بين جهود حكومية مؤسسية حظيت باهتمام أكبر في البحث والدراسة، وأخرى أسرية خالصة لا تزال تحتاج إلى الكثير من البحوث والدراسات، ويتأرجح بين هذين الجهدين جهود أخرى محدودة باتت تلعبها بعض مؤسسات المجتمع المدني التي تقدم مساعدات يغلب عليها الطابع المادي للأطفال أو الطلاب المتميزين أو المتفوقين في بعض مجالات الموهبة أهمها المجال العلمي. وعلى ضوء ذلك، تسعى الدراسة الحالية للتركيز على الدور الذي تقوم به الأسرة المصرية في اكتشاف المواهب ورعايتها من واقع دراسات الحالة التي وثقت تجارب العديد من الموهوبين وأولياء أمورهم.

ثانيًا- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

حظيت موضوعات الموهبة والنبوغ باهتمام كبير من جانب البحوث النفسية والتربوية، لكنها لم تحظ بالقدر نفسه من الاهتمام داخل علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا. فقد دخل مصطلح «الموهبة» لميدان علم النفس بفضل البحوث التي أُجريت على الذكاء في أواخر القرن التاسع عشر، وباعتباره جانبًا من الجوانب التي تتضمن دراسة الفروق الفردية بين الأفراد، وما لبث أن انتقل هذا المصطلح بعد ذلك إلى ميدان الدراسات التربوية ليصبح من أهم الموضوعات أو المجالات التي تهتم بها التربية الخاصة، وظهرت له مجالاته وفروعه والمتخصصين فيه (محمد، ٢٠٠٥: ص٤٢). وقد يرجع عدم الاهتمام بمثل هذه الموضوعات من جانب الباحثين في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا لانشغال الكثير منهم بدراسة السلوكيات وأنماط التفاعل الاجتماعي بين الأفراد في البيئات التي يعيشون فيها، بينما تتضمن دراسة موضوعات كالذكاء والموهبة والنبوغ والإبداع البحث في سمات وصفات موروثة بيولوجيًا، فالموهبة شخصية وليست جماعية؛ وبالتالي يُنظر إليها على أنها خارج دوائر اهتمام المشتغلين بعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا. وبالرغم من وجود محاولات كثيرة من جانب الباحثين خلال القرن العشرين للتقريب بين البحوث النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية، أبرزها كانت جهود عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية روث بنديكت، إلا أن غالبيتها تركزت حول موضوعات الثقافة والشخصية، في حين لا تزال الإسهامات السوسيولوجية والأنثروبولوجية حول الموهبة والنبوغ محدودة إلى حد كبير. وليس هناك دليل واضح على هذا التجاهل من القول بأن الموسوعات الكبرى في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا التي ظهرت خلال القرن العشرين وما بعده كموسوعة علم الإنسان لشارلوت سيمور (سميث، ٢٠٠٩)، وموسوعة علم الاجتماع لجوردن مارشال (مارشال، ٢٠٠٠)، وموسوعة النظرية الثقافية لأندرو إدجار (إدجار، وسيدجويك، ٢٠٠٩)، لم تتضمن إشارات لمصطلحات الموهبة والنبوغ، ولا للنظريات المفسرة لها.

وبالنظر للواقع المجتمعي، تُعد مصر واحدة من الدول ذات الرصيد التاريخي الكبير في الاهتمام بالموهبة والموهوبين، وتعود جذور أولى هذه المحاولات إلى بدايات القرن التاسع عشر، وبالتحديد للجهود التي بُذلت لرعاية المتفوقين والمتميزين في عهد محمد علي حاكم مصر خلال الفترة (١٨٠٥-١٨٤٨م)، والتي تركزت غالبيتها في الاهتمام بالمواهب العلمية والأكاديمية، واتخذت شكل إرسال البعثات الطلابية إلى الدول الأوروبية للتزود بالمعارف والحصول على درجات علمية مختلفة، إلى جانب بعض المحاولات الأخرى للاهتمام بالموهوبين في الفنون والصنائع، وغيرها (رضوان، والحسنين، ٢٠٢١: ص٢٦٥). كما كان نظام التعليم الديني في الأزهر الشريف – خلال هذه الفترة أيضًا- يمثل مركزًا لاستقطاب النابغين في العلوم الدينية والشرعية، والفلسفة، واللغة، ويقدم لهم فرصًا للابتعاث للخارج. وخلال القرن العشرين وحتى الوقت الحالي، هناك جهود متوالية تُبذل في هذا الإطار قادتها وزارة التربية والتعليم المصرية في أغلب الأوقات، واتخذت هذه الجهود شكل إنشاء الفصول الدراسية، والمراكز المتخصصة، والمدارس التجريبية، والمعاهد، والنوادي الصيفية المخصصة لاكتشاف المواهب المختلفة ورعايتها. كما صدرت العديد من التشريعات والقوانين المنظمة لعمليات الاكتشاف والرعاية (Ayoub, et al., 2022: pp.3-4) وأُنشئت في أعقاب هذه التشريعات العديد من المؤسسات المعنية بالقدرات البشرية كأكاديمية الفنون، ودار الأوبرا المصرية، والمسارح، والمتاحف، ودور الثقافة، وغيرها. لكن هذه الجهود ظلت لفترات طويلة متعثرة في الغالب لعدة أسباب، أهمها: عدم وجود استراتيجية قومية شاملة تتبناها كافة قطاعات الدولة المصرية للكشف عن الموهوبين في كافة مجالات الموهبة، وانعدام أو ضعف الميزانيات المالية المخصصة للإنفاق على برامج اكتشاف ورعاية الموهوبين، وعدم وجود تعريف رسمي دقيق ومحدد للطفل الموهوب في كافة القرارات الوزارية التي صدرت من أجل العناية بهذه الفئة (الدسوقي، ٢٠١٦: ص ص ٢٨٣-٢٨٨)، وتضارب السياسات والقرارات الحكومية الخاصة بالموهوبين والمتفوقين وأساليب اكتشافهم

ورعايتهم (محمد، ٢٠١٠: ص٥٣)، وغياب التشبيك والتنسيق بين كافة المؤسسات والجهات المهتمة بالموهوبين والنوابغ سواء كانت حكومية أو أهلية، واقتصار جهود الاكتشاف والرعاية للمواهب على بعض الوزارات والمؤسسات الحكومية دون غيرها، ناهيك عن غلبة الطابع الشكلي الارتجالي على بعض البرامج التي أُطلقت في مصر للكشف عن الموهوبين ورعايتهم (حامد وآخرون، ٢٠١٩)، وضعف إسهام القطاع الخاص والمجتمع المدني في الاستثمار في المواهب، وتركز غالبية الجهود غير الحكومية في دعم المواهب الأكاديمية دون الاهتمام بالمواهب الأخرى.

وفي ظل هذه التحديات المؤسسية الحكومية والأهلية التي تواجه عمليات صناعة المواهب ورعايتها في مصر، يظهر دور الأسرة ككيان غير مؤسسي وموازٍ يقع على عاتقه مسؤولية اكتشاف الموهوبين من أبنائها، وتهيئة المناخ العائلي الداعم لرعايتهم، والمتابعة المستمرة لمستويات التقدم والتحسن في مواهبهم. لكن هذا الدور الذي تقوم به الأسرة تجاه أبنائها النابغين قد يتباين من أسرة لأخرى بحسب عوامل متعددة أهمها حجم الأسرة، ومستواها المادي، وطبيعة العلاقات الأسرية التي تربط أفرادها، والمستوى التعليمي للأبوين، ومدى وعي الأبوين بطبيعة مواهب الأبناء ومتطلباتها وأساليب التعامل معها، وحجم الدعم الذي تحصل عليه أسر الموهوبين من المجتمع المحيط ومن المؤسسات الأخرى المعنية. وبالنظر لواقع المجتمع المصري، نستطيع أن نلمس بعض التحديات التي تواجه الأسر المصرية في عمليات الاكتشاف والرعاية للمواهب، أهمها قلة أو انعدام الدعم المقدم لأباء وأمهات الأطفال الموهوبين، سواء من المؤسسات الحكومية أو الأهلية المعنية. فنادرًا ما تتضمن برامج رعاية الموهوبين أي أنشطة أو فعاليات مخصصة للآباء والأمهات باعتبارهم الحاضنين الأساسيين لتلك المواهب (الجمال، ٢٠١٠). هذا إلى جانب التحديات الاقتصادية الناتجة عن الارتفاع المستمر في معدلات التضخم الاقتصادي، وهو ما قد يُضعف من القدرة المالية للكثير من الأسر المصرية على الاستثمار في مواهب أبنائها، وعلى تحمل

نفقات الرعاية. ومن المتوقع في ظل هذه الأوضاع المجتمعية والمؤسسية التي تحيط بعمليات اكتشاف ورعاية الموهوبين في مصر أن تُفرز لنا هذه الأوضاع تجارب أسرية متنوعة في التعامل مع الموهوبين والنوابغ تستوجب الرصد والتحليل. وعلى ضوء ما سبق، تتلخص إشكالية الدراسة الحالية في الإجابة عن تساؤل رئيس مؤداه: إلى أي مدى تشارك الأسرة المصرية بفعالية في عمليات اكتشاف وصناعة الموهوبين في مصر؟

ثالثًا- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية بشكل أساسي للتعرف على الأدوار التي يقوم بها الآباء والأمهات المصريون في اكتشاف ورعاية الأطفال الموهوبين داخل أسرهم. ويندرج تحت هذا الهدف مجموعة من الأهداف الأخرى الفرعية، نوضحها فيما يلي:

١. التعرف على ملامح البيئة الأسرية ومدى ملاءمتها لرعاية الموهبة.

٢. تحديد آليات اكتشاف الموهبة داخل المحيط الأسري.

٣. الكشف عن طبيعة الدعم الأسري الموجه للمواهب.

٤. الكشف عن طبيعة الدعم الحكومي والأهلي الموجه للأسرة في رعاية مواهبها.

٥. التعرف على طبيعة التحديات التي تواجه الأسرة والموهوبين وأساليب التغلب عليها.

رابعًا- مفاهيم الدراسة:

١- الموهبة:

تكشف التعريفات الخاصة بمفهوم الموهبة عن وجود تنوع هائل في تعريف هذا المفهوم، وعدم اتفاق حول تعريف موحد له. وتنبع هذه الاختلافات من اتساع مجالات الموهبة وتعددها، فالتركيز على مجالات بعينها في التعريف قد يُقيد من

مفهوم الموهبة ذاته (El Khoury et al., 2018). هذا إلى جانب، التباين في تحديد مفهوم الذكاء، ومعدل الذكاء الذي يجب أن يتمتع به الفرد حتى يمكن أن نعتبره موهوبًا. وبالرغم من هذه الاختلافات إلا أن تعريفات الموهبة تتراوح من التعريف العام للموهبة الذي يشير إلى القدرة الفكرية غير العادية أو درجة الذكاء المرتفعة، إلى التعريفات الأكثر تحديدًا والتي تشير إلى التطور المبكر للفرد في تخصص معين كالرياضيات على سبيل المثال، لكن جميع التعريفات تشير في النهاية إلى التميز والإنجاز الاستثنائي داخل مجال معين (Kerr, 2009). فهي قدرات فردية وليست جماعية تقود الفرد إلى تحقيق إنجازات استثنائية أو بارزة في مجال واحد أو أكثر (Sternberg, et al., 2005: p.191). كما أنها تطورية بطبيعتها، وتتغير بمرور الوقت من مجرد إمكانية إلى كفاءة إلى خبرة إلى إنتاجية إبداعية أو فنية أو تفوق (Olszewski-Kubilius, et al.,2015).

ويمكننا تعريف الموهبة إجرائيًا بأنها: قدرة فردية استثنائية تُميز شخصًا معينًا عن باقي أقرانه في الفئة العمرية نفسها، وتظهر في سن معينة، ويتم التعبير عنها بشكل تلقائي بغير تدريب أو سابق خبرة في واحد أو أكثر من المجالات المختلفة للموهبة كالمجال المعرفي، أو الفني، أو الأدبي، أو الرياضي، وغيرها. ويُمكن قياسها بواسطة اختبارات مُخصصة لذلك، أو من خلال خبراء ومتخصصين في نفس المجال.

٢- الموهوبون:

تستند معظم تعريفات الموهوبين للتعريف الفيدرالي للموهوبين الذي قُدم كجزء من تقرير للكونجرس الأمريكي عام ١٩٧٢، والذي يُعرف الأطفال الموهوبين بأنهم: "أولئك الذين حُددوا بأنهم موهوبون من قبل أشخاص متخصصين، ويتمتعون بقدرات متميزة تمكنهم من الأداء العالي في أي من المجالات التالية: القدرة الفكرية العامة، الكفاءة الأكاديمية المحددة، التفكير الإبداعي أو الإنتاجي، القدرة على القيادة، الفنون المرئية والمسرحية، القدرة

الحركية، أو أي جانب آخر من جوانب السلوك الإنساني. ويحتاجون لبرامج وخدمات تعليمية مختلفة تختلف عن تلك التي تقدمها البرامج الدراسية العادية من أجل تحقيق مساهمتهم في تحسين ذواتهم والمجتمعات التي يعيشون فيها" (Ross, 1993). كما ظهرت تعريفات أخرى للموهوبين تجعل منهم أشخاصًا استثنائيين لديهم القدرة على التعلم بسرعة، والتعامل بشكل جيد مع الأفكار المعقدة والمجردة، ويمتلكون قاعدة معرفية كبيرة (Sternberg, et al., 2005: p74). ويمكنهم تحديد المشكلات أو الثغرات في مجالات المعرفة، وتوليد أفكار أو فرضيات جديدة، وتقييم الأفكار، وتعديل الفرضيات، والوصول للنتائج بشكل فعال (Kerr, 2009: p.388).

٣- النبوغ:

يتشابه مصطلح النبوغ مع مصطلح الموهبة من حيث عدم اتفاق الباحثين على معنى محدد له. فالمعنى الإنجليزي للكلمة Talent مشتق من الكلمة اللاتينية talentum والتي تعني مقياس أو قياس التوازن. يرى البعض أن النبوغ مصطلح يُشير إلى كل صور التفوق، أو التميز الفني، أو الإبداعي، أو الفكري، أو الرياضي. بينما تُعرَّف الموهبة بأنها: القدرة الكلية للشخص وهي سابقة على النبوغ. عندئذٍ سيتطور النبوغ في أحد مجالات الاستعداد الطبيعي أو الفطري للفرد التي يتم تقديرها أو مكافأتها في المجتمع (Kerr, 2009: pp863-865). ولهذا قد تؤدي بعض الظروف إلى طمس الموهبة؛ ومن ثم يحول ذلك دون الوصول إلى مرحلة النبوغ.

وقد وضع تانينباوم تصورًا نظريًا لأشكال النوابغ يتضمن:

النوابغ النادرة: وهي التي يمتلكها قادة عظماء في العلوم والسياسة ويحتاجها المجتمع بشدة لحل المشكلات، **والنوابغ الفائضة**: التي يمتلكها الناس في مجالات الفنون فهي ليست ضرورية لحل المشكلات لكنها تجعل الحياة أفضل للآخرين. **ونوابغ الكوتا**: وهي القدرات التي تتيح السلوك الماهر أو المهني لعدد كبير من

القادة في مجتمعنا الذين يقدمون قدرًا ضئيلًا من المساهمات الإبداعية. **والنوابغ الشاذة**: وهي مهارات ضيقة، ولكنها متفوقة مثل الرماية الفائقة والقراءة السريعة وما إلى ذلك (Feldhusen and Hoover, 1986: pp.140-143).

٤- الإبداع:

الإبداع هو بناء مُعقد يُشير لطريقة التفكير التي تُؤدي إلى إنتاج منتجات حديثة وذات فائدة أو قيمة للناس (Carducci, et al., 2020). هذه المنتجات الإبداعية قد تكون فكرة أو سلوكًا جديدًا غير مسبوق يُغير الطريقة التي يفكر بها الآخرون أو يتصرفون بها في أحد مجالات المساعي البشرية الجديرة بالاهتمام (Sternberg, et al., 2005: p54). ولكي تُصبح المنتجات إبداعية لا بد أن تتسم بالأصالة والجدة والغرابة والتفرد والفعالية في السياق الذي تُنتج فيه، لكن هذه الفعالية ليست واحدة في جميع السياقات المختلفة، فهي تختلف من سياق اجتماعي وثقافي وبيئي وتاريخي لآخر (Kerr, 2009: pp.201-202).

٥- الأسرة:

يُشير المفهوم الغربي للأسرة إلى جماعة مكونة من شخصين أو أكثر، يعيشون معًا في وحدة سكنية، ويرتبطون ببعضهم بروابط الدم أو الزواج أو التبني (Borgatta and Montgomery, 2000: p.964) أو الاتصال الجنسي أو الروابط القانونية (Bruce and Yearley, 2006: p.104). أحد هؤلاء الأشخاص يكون في العادة رب الأسرة، ويتولى الإنفاق على هذه الأسرة الزوج أو الزوجة أو كلاهما. وتعتبر الأسرة – بشكل عام- مؤسسة اجتماعية وموقعًا للكثير من النشاط الاجتماعي للأشخاص. ويمكن التمييز بين نوعين من التعريفات للأسرة تستخدم على نطاق واسع بين الباحثين، فهناك التعريفات الوظيفية، وهي تُركز على الوظائف التي تؤديها الأسرة في المجتمعات المختلفة، وبموجب هذه التعريفات فإن الأسرة مؤسسة اجتماعية تتمثل مسؤوليتها الرئيسة في إنجاب الأطفال، وتنشئتهم، وتوفر لأعضائها كافة أشكال الرعاية الأسرية، والأمان

الجسدي، والاقتصادي، والدعم العاطفي (Sullivan, 2009: p.199). وهناك التعريفات البنائية للأسرة، وهي التي تركز على العلاقات الاجتماعية والروابط القرابية التي تربط بين أفراد الأسرة الواحدة (سميث، ٢٠٠٩: ص ص ٩٠-٩٢) كالزواج، والمصاهرة، والنسب، والتبني، والتحالف، وغيرها.

وفي ضوء الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية والإسلامية عمومًا والمجتمع المصري على وجه التحديد والتي تُحرم التبني كشكل من أشكال الانتساب للأسرة، فإننا نستخدم مصطلح الأسرة في دراستنا الحالية بمعناه **الضيق** الذي يُشير إلى "جماعة منزلية تربطها روابط قرابية دموية عاصبة، وتتكون من الزوج والزوجة أو أحدهما على الأقل، إلى جانب أشخاص آخرين يرتبطون بروابط قرابية بهؤلاء الأزواج، ويتولى أحد الزوجين أو كلاهما مسؤولية إعالة هذه الأسرة، وتوفير احتياجاتها المادية، كما قد يسود بين أفرادها أشكال مختلفة من الرعاية الأسرية والتعاون الاقتصادي".

خامسًا- الأسرة والموهبة: قراءة في التراث النظري والإمبيريقي:

ظهر الاهتمام المعرفي بمفهوم الموهبة والموهوبين من رحم الدراسات الفلسفية ليدخل بعدها لمجال علم النفس والدراسات التربوية، ثم منها إلى باقي حقول المعرفة الإنسانية الأخرى. وللتدليل على هذا التطور الفكري لهذا المفهوم تاريخيًا، استعار كل من زيجلر وراؤول من الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت تقسيمه الشهير لمراحل تطور الفكر البشري، حيث اعتقد كونت أن الفكر الإنساني مر بثلاث مراحل أساسية أطلق على الأولى منها المرحلة اللاهوتية، والثانية الميتافيزيقية، والثالثة الوضعية أو العلمية التجريبية. فوفقًا لزيجلر، اعتبرت الموهبة خلال المرحلة الأولى من الفكر الإنساني هبة أو منحة إلهية من قوة عليا، كما كان ينظر للأفراد الموهوبين خلال هذه المرحلة على أنهم كائنات خارقة للطبيعة. واتضح هذا النهج بشدة في الكتابات الفلسفية القديمة على يد أفلاطون في اليونان، وكونفوشيوس في الصين في حديثهم عن "الأطفال

السماويين". ويؤكد هذا الخط الفكري على وجود تنوع في مجالات الموهبة بحسب طبيعة المنح الإلهية الممنوحة للبشر. ووفقًا لهذا النهج، لا يُعتبر الأشخاص الموهوبون كائنات خارقة للطبيعة فحسب، بل يُنظر أيضًا للاكتشافات والاختراعات الإنسانية على أنها إعادة اكتشاف لإبداعات إلهية سابقة. وخلال المرحلة الثانية من مراحل تطور الفكر الإنساني والتي عُرفت بالميتافيزيقية ارتبطت الموهبة بشكل أكبر بالأفراد أنفسهم، حيث أصبحت الموهبة تعبر عن كفاءات فردية. وبالرغم من أنه لم يُنظر –خلال هذه المرحلة- للأشخاص الموهوبين على أنهم كائنات خارقة للطبيعة، إلا أن الكثير من الرواسب الثقافية حول هذه المفاهيم ظلت عالقة في أذهان البشر، كالاعتقاد بأن الأشخاص الموهوبين أشخاص ماتوا في وقت سابق، كما كان مصطلح "العبقري المجنون" مقبولًا على نطاق واسع في هذا الوقت. وتُجسد المرحلة الثالثة من مراحل التطور الفكري لمفهوم الموهبة المرحلة التجريبية المستندة لأدلة علمية، والتي بدأت مع مطلع القرن العشرين، وجاءت كنتيجة للتقدم الكبير في بحوث علم النفس، والاعتماد على أساليب واختبارات بحثية أكثر دقة في قياس الموهبة عند الأفراد. فخلال هذه المرحلة بدأ علماء النفس ينظرون للموهبة باعتبارها إنجازًا استثنائيًا، واعتُبر الشخص الموهوب خلال هذه المرحلة شخصًا ذا مستوى عالٍ من الذكاء. وبمرور الوقت أصبح هؤلاء العلماء يحددون الموهبة من خلال التفاعل بين سمات شخصية مختلفة (Stoeger, 2009: pp.17-38).

التأكيد المفرط من جانب البحوث السيكولوجية خلال القرن العشرين على معدل الذكاء باعتباره مؤشرًا مهمًا من مؤشرات الموهبة تعرض لنقد شديد من جانب علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الذين أكدوا على أهمية العوامل الاجتماعية والثقافية غير الموروثة في تحديد جماعات الموهوبين، ونادوا بضرورة إعادة الاعتبار لمجموعة واسعة من المتغيرات الاجتماعية كالقيم والمعتقدات والخبرات الحياتية للأفراد في صناعة الموهبة (Mazzoli Smith, 2014: p355). وبالرغم من أهمية هذه الآراء في تكامل الرؤى النفسية والاجتماعية حول خصائص

الموهبة والموهوبين وأساليب اكتشافهم ورعايتهم، إلا أنها لم تصل إلى نفس مستويات الاهتمام الذي حظيت به مثل هذه الموضوعات داخل حقلي علم النفس والبحوث التربوية، لكن هذا الاهتمام السوسيولوجي الأنثروبولوجي بقضايا الموهبة والنبوغ أسهم في بلورة اتجاهين نظريين أساسيين في دراسة هذه الموضوعات نعرض لأهم ملامحهم على النحو التالي:

١- المنظور الوظيفي: الموهبة نتاج لتنشئة أسرية سوية:

يُعد المنظور الوظيفي واحدًا من أقدم الاتجاهات النظرية في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا. وشكلت التحليلات الوظيفية حول الأسرة وأدوارها في المجتمع واحدة من أكثر التحليلات استخدامًا في بحوث الأسرة والتنشئة الاجتماعية حول العالم، واستمر تأثير هذه التحليلات في غالبية تلك البحوث بالرغم من الانتقادات التي وُجهت إليها منذ ظهورها في القرن العشرين. ويستند المنظور الوظيفي في تحليلاته للأبنية الاجتماعية على فكرة المماثلة العضوية بين المجتمع والكائن الحي. فالمجتمع عند الوظيفيين أشبه بالكائن الحي، لديه احتياجات أساسية يجب إشباعها من أجل بقائه (Turner, 2017: pp.1-9)، ويتشكل من عدة أجزاء أطلق عليها الوظيفيون أنساقًا اجتماعية يؤدي كل واحد منها وظيفة محددة، استنادًا إلى قيام الأنساق الأخرى بوظائفها؛ ومن محصلة قيام كافة الأنساق الاجتماعية بوظائفها المختلفة يتطور المجتمع ويستمر في الوجود.

ويستمد المنظور الوظيفي أهميته في دراسته للأسرة والمواهب من مستويين أساسيين في التحليل. المستوى الأول (الماكرو)، وهو يتعلق بالإسهامات النظرية التي قدمها هذا المنظور في النظر لأشكال اللامساواة الاجتماعية والثقافية والمادية والفكرية والجسدية بين البشر على أنها وظيفية للحفاظ على المجتمع واستقراره؛ وبالتالي فإن أشكال اللامساواة أمر لا مفر منه لكنه وظيفيٌ (Leeder, 2004). وعلى ضوء ذلك، فإن الأفراد ذوي المواهب والقدرات الاستثنائية الذين يتميزون عن أقرانهم بسمات عقلية أو جسدية يلعبون أدوارًا مهمة داخل مجتمعاتهم،

ويمكنهم المساهمة في عمل المؤسسات الاجتماعية وتقدمها بحسب مجالات نبوغهم أو تفوقهم. أما المستوى الثاني الذي يقدمه المنظور الوظيفي في التحليل (الميكرو) فهو يرتبط بدراسته للأسرة كنسق اجتماعي وطبيعة الأدوار التي تؤديها في المجتمع، خاصة دورها في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد، وتناوله لمراحل الطفولة والمراهقة التي يعيشها الأطفال، بما فيهم الموهوبون أنفسهم باعتبارها مراحل عمرية تتشكل اجتماعيًا. فوفقًا للنظرية الوظيفية تعد الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى والأساسية في المجتمع، وتسعى في تناولها للأسرة إلى توضيح طبيعة الوظائف التي تضطلع بها الأسرة في المجتمع، والتي يأتي في مقدمتها التنشئة الاجتماعية لجميع أفرادها (الخشاب، ٢٠٠٨: ص٣٤).

ويُعد تالكوت بارسونز من أشهر العلماء الوظيفيين الذين برز نجمهم خلال القرن العشرين، وقدم تحليلات مهمة حول الأسرة وأدوارها في المجتمع، حيث اعتقد بارسونز أن الأسرة تؤدي وظيفتين رئيستين للمجتمع، الأولى هي التنشئة الاجتماعية للجيل القادم، بحيث يكونون مؤهلين ليصبحوا أعضاءً في المجتمع، من حيث احتوائهم المنظم وقدرتهم على المساهمة في المجتمع في المستقبل. ووفقًا للمنظور الوظيفي، يحدث ذلك من خلال عمليتين أساسيتين عبر عملية التنشئة تعرف الأولى (بالنقل الثقافي) حيث يتعلم الأطفال ويستوعبون القيم والأعراف والتوقعات الاجتماعية التي يحتاجونها للتميز والابتكار، وتعرف الثانية (بتخصيص الأدوار) التي سيلعبها هؤلاء الأطفال في المجتمع كبالغين. أما الوظيفة الرئيسة الثانية للأسرة فتتمثل في تثبيت شخصيات البالغين من خلال تطوير دور تلعبه هذه الشخصيات يمنحها إحساسًا بالرضا ويساعد أيضًا على إنشاء نظام اجتماعي متناغم. واعتبر الوظيفيون أن الأسرة النووية هي الشكل الأمثل للقيام بهذه الوظائف في المجتمعات المعاصرة (Edwards and McCarthy, 2010). لقد حاول الوظيفيون وعلى رأسهم بارسونز أن يُقسموا الأدوار الأسرية داخل الأسرة على أساس النوع الاجتماعي اعتقادًا منهم بأن ذلك سوف يسهم في الحفاظ على الاستقرار الأسري والنظام الاجتماعي بشكل عام.

فأكد بارسونز على ضرورة أن يختص الرجال بأدوار كسب العيش، وتختص النساء بالأدوار المنزلية والرعاية الأسرية والتنشئة الاجتماعية للأبناء. وذهب بارسونز إلى أن هذا التقسيم يُعد وظيفيًا للنظام الاجتماعي لأنه يتوافق مع الطبيعة الشخصية للرجال والنساء وتكوينهم البيولوجي (Adams and Sydie, 2001: pp.20-21). وعليه فإن رعاية الأبناء الموهوبين والنوابغ تعد مسؤولية المرأة الأساسية، ويتكفل الآباء في ظل هذا التقسيم النوعي للأدوار بتلبية الاحتياجات المادية المطلوبة للرعاية.

لقد نظر بارسونز للتنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعلم مستمر تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الثقافة المعطاة للفرد عن طريق الأسرة الصغيرة، وبالتحديد عن طريق الوالدين اللذين يمثلان -من وجهة نظر بارسونز- وكلاء أو مسؤولي التنشئة الاجتماعية socializing agents للأطفال. فهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية. ووفقًا للتعريف السابق نجد أن بارسونز قد نظر إلى الثقافة والشخصية في آن واحد. كما سعى لإيجاد تقارب بين أفكار فرويد عن الشخصية وأفكار دوركايم عن النسق الاجتماعي في محاولة لصياغة نظرية تجمع بين الجوانب السيكولوجية والسوسيولوجية في آن واحد. فإذا كان فرويد لم يُعطِ أهمية كافية لتفاعل الأفراد داخل النسق، وجعل إدراك الأنا العليا يتم من خلال العلاقة بين الشخصية والثقافة السائدة ككل، فإن دوركايم كذلك لم يعطِ اهتمامًا كافيًا بالجوانب السيكولوجية التي يتمثل فيها الأطفال الشخصية والثقافة. ورأي بارسونز أن الجمع بين وجهتي النظر سيكون مثمرًا لأن الأسرة في هذه الحالة ستصبح نسقًا للتفاعل بين الطفل والوالدين (Parsons and Bales, 1956: pp.35-131). التحليلات الاجتماعية النفسية للتنشئة الاجتماعية جعلت منها عملية تعلم اجتماعي تلازم الفرد طيلة حياته، وبات يُنظر للذات الاجتماعية على أنها تُشكل من قبل القوى الاجتماعية المحيطة بالفرد (الآباء، والأمهات، وجماعات الأصدقاء، والجيران، وغيرهم)، وتساعد الأسرة الأفراد على بناء ذواتهم من خلال الأدوار التي يتعلمون القيام بها داخل الأسرة (Leeder, 2004).

ويرى بارسونز أن التطور الذي تشهده المجتمعات المعاصرة سُيقلص من شكل الأسرة لتتحول من الشكل الممتد للشكل النووي، كما سيقلص من وظائفها الأساسية وعلى رأسها وظيفة التنشئة الاجتماعية للنشء لتتقاسمها مؤسسات اجتماعية أخرى مع الأسرة كالمدرسة، والمؤسسات الإعلامية، والدينية، وغيرها. ويرى بارسونز أن الأسرة تخلت عن هذه الأدوار نتيجة لاستقلالها عن الأسرة الممتدة، كما أن المجتمعات الحديثة تحتاج إلى أن تكون الأسر غير مثقلة بالالتزامات والمسؤوليات الأسرية (Leeder, 2004). وبالتالي، فإنه وفقًا للمنظور الوظيفي فإن وظائف الأسرة في الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية والبدنية للموهوبين لم تعد مسؤولية الأسرة وحدها، بل تشاركها مؤسسات اجتماعية أخرى في هذا الدور.

لم تتجاوز الإسهامات الوظيفية حدود الوصف لواقعٍ كان قائمًا بالفعل، وانصبت معظم التحليلات الوظيفية على الأسرة في المجتمعات الصناعية الكبرى. وبالرغم من القصور الذي اعترى هذه التحليلات في تناولها لقضايا الموهبة والنبوغ، خاصة وأنها لم تكن مخصصة في الأساس لتحليل عملية التنشئة الاجتماعية لجماعات الموهوبين، إلا أنها وفرت للباحثين المعنيين بدراسة المواهب إطارًا فكريًا مفيدًا في التعامل مع مشكلات الأسرة في عمليات الرعاية والتنشئة للمواهب، والنظر للأسرة كوحدة للتحليل بدلًا من الأفراد (Mazzoli and Campbell, 2012: p.32). ويعُود الفضل للكتابات الوظيفية في تأكيدها على الطابع العالمي للوظائف التي تضطلع بها الأسرة، فبالرغم من التفاوت في أشكال الأسر وأحجامها من مجتمع لآخر، إلا أن هناك مجموعة من الوظائف الأساسية التي تقوم بها الأسرة في جميع مجتمعات العالم تقريبًا، كالإنجاب، والتنشئة الاجتماعية، وتنظيم وتقنين السلوك الجنسي، وتوفير الاحتياجات المادية اللازمة للرعاية، وتقديم الدعم الوجداني والعاطفي، ومنح المكانة الاجتماعية لأفرادها (Leeder, 2004). كما أنها أسهمت في ظهور اهتمام بحثي ملحوظ بالأدوار الوظيفية التي تلعبها الأسرة في حياة أبنائها الموهوبين، وحاولت الكثير

من البحوث والدراسات التحقق من هذا الدور خلال عمليتي الاكتشاف والرعاية، والتحديات التي تواجهها الأسر في القيام بهذه الأدوار. ومن السمات التي تُميز هذه الجهود البحثية أنها لم تكن مقصورة على حقل معرفي محدد، بل شكلت الأدوار الوظيفية للأسرة في حياة الموهوبين والنابغين موضع اهتمام داخل حقول معرفية مختلفة كعلوم الاجتماع، والنفس، والتربية، وغيرها.

لقد ناقشت مجموعة من البحوث الدور الوظيفي الذي يقوم به الآباء والأمهات في اكتشاف ورعاية المواهب، حيث ينظر للوالدين خلال المراحل العمرية المبكرة باعتبارهم المعلمين الأوائل للأبناء. ففي دراسة لعشرة من الطلاب اليونانيين الموهوبين في مجالات مختلفة، يتضح من الروايات التي شاركها هؤلاء الموهوبون أثناء المقابلات المتعمقة أن الوالدين وأفراد الأسرة الآخرين يلعبون دور المحفز الخارجي لدافعية الطفل نحو مجال محدد من مجالات الموهبة، وأن وجود شخص نابغ أو موهوب من أفراد الأسرة كأحد الوالدين أو الإخوة أو حتى الأعمام والأخوال في هذا المجال يكون له تأثير واضح على زيادة اهتمام الموهوب بمجال معين من مجالات الموهبة. لقد تضمنت عمليات التحفيز التي قام بها أفراد الأسرة محاولات من جانب هؤلاء الأفراد لنقل خبراتهم السابقة لهؤلاء الموهوبين. وفي المراحل المبكرة من عمر الطفل يلعب الوالدان دور المكتشف لقدرات وإمكانيات الطفل، ويحاولون توظيفها في مجال الموهبة المناسب. وتؤكد نتائج الدراسة على أن انخفاض المستوى التعليمي أو الوضع الاجتماعي للوالدين يُعد عائقًا أمام الوالدين على القيام بأدوار الاكتشاف والرعاية (Zbainos and Kyritsi, 2011). ويُحسب لهذا التوجه البحثي نظرته لتطور الطفل الموهوب على أنه استجابة لنمط التفاعلات المتبادلة بين الطفل ووالديه، وأن هذه التفاعلات قد تكون تشجيعية وتعزز من تنمية مهارات الطفل الذاتية في مجال موهبته، نابعة من فهم الوالدين الصحيح لمفهوم الموهبة ومتطلباتها، وقد تكون غير ذلك فتؤثر سلبًا على موهبة الطفل ومتطلبات تطويرها. فمن خلال دراسات حالة لخمس أسر لأطفال موهوبين، كشفت دراسة مودراك عن أن فهم

بعض أولياء الأمور للموهبة على أنها فطرية، وأن الطفل يقوم بتنميتها بشكل مستقل عن والديه؛ أدى لعدم قدرة هؤلاء الأطفال على التكيف مع بيئاتهم المدرسية ولصراعات مستمرة مع معلميهم وزملائهم في الدراسة، وفشل في اجتياز بعض المقررات الدراسية (Mudrak, 2011). وفي السياقات الأُسرية التنافسية، تشير دراسات الحالة لسبعة من المراهقين التايوانيين الموهوبين في مجال الموسيقا إلى أن اتجاه الوالدين لمقارنة أبنائهم الموهوبين بزملائهم في الدراسة أو بأخوتهم كنوع من التحفيز لهم يُعد سلاحًا ذا حدين، لأنه يمكن أن يؤدي إلى تحسين المهارات والأداء، وعادات العمل الجيدة، ولكنها قد تؤدي أيضًا إلى تجنب التحدي، والشعور بالإحباط والضغط غير المبرر، والغيرة، ومشاعر عدم الكفاءة، وشيوع أسلوب التعلم النفعي (Kao, 2011).

وعبر عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة للنابغين من أبنائها، تقوم الأسرة بنقل قيم المجتمع الأكبر لهم خاصة القيم التي تحض على الإنجاز والتفاني في العمل والتفوق وغيرها. وفي هذا السياق، تشير دراسة مقارنة لعينة من طلاب المدارس الثانوية الموهوبين وغير الموهوبين في فيتنام إلى أن أسر الطلاب الموهوبين لعبت دورًا مهمًا في نقل القيم الكونفوشيوسية، وأن البيئة الأسرية كانت المكان الذي يرعى هذه القيم. كما يتضح من النتائج أن الآباء يؤثرون بشكل كبير على دافعية الأطفال نحو الإنجاز (Nguyen and Gross, 2013). وفي سياقات ثقافية مغايرة، تشير دراسة لمجموعة من الأطفال الموهوبين في السعودية أن الأطفال الذين نشأوا في أسر تحرص على تنشئتهم تنشئة دينية من خلال تحفيظهم القرآن الكريم كانوا يتمتعون بقدرة على استرجاع المعلومات بطلاقة وفعالية، ويمتلكون مهارات تحليلية وإبداعية عالية تتضح في دقة نطق الحروف، ومهارات فك الألغاز، وطلاقة القراءة (Hein, et al., 2014).

وتُشير البحوث إلى أن الأدوار التي يقوم بها الوالدان في حياة أبنائهم الموهوبين تختلف من مرحلة عمرية لأخرى. ففي دراسة لآباء وأمهات خمسة

عشر طفلًا موهوبًا في مجال الرياضيات في نيوزيلاندا، كشفت دراسات الحالة عن أن الآباء والأمهات المشاركين في الدراسة لعبوا في المراحل العمرية المبكرة من عمر أبنائهم دور المكتشف للموهبة، فقد لاحظ بعض الآباء صور الاختلاف التي تميز أبنائهم الموهوبين عن غيرهم، والمتمثلة في الاهتمام المبكر لهؤلاء الأطفال بالعمليات الحسابية المعقدة، والاستيعاب السريع للمفاهيم الرياضية، والقدرة على التعامل مع الأرقام، وامتلاك الذاكرة الجيدة، والقدرة على اللعب بالأرقام بطرق أظهرت فهمًا مبكرًا للتسلسل والحجم. وفي مراحل لاحقة أسهم الآباء في تحفيز مواهب أبنائهم ومساعدتهم على مواجهة التحديات، ووفروا الموارد اللازمة لتطوير الموهبة من ألعاب وكتب وبرامج كمبيوتر وإنترنت وخدمات اتصال بالمكتبات، كما لعبوا دور المراقبين لتطور الموهبة، وقدموا أيضًا نصائح واستشارات لمساعدة أطفالهم على التغلب على صعوبات التعلم، كما نَاصرَ بعض الآباء مواهب أبنائهم من خلال مدافعتهم عن احتياجات أطفالهم الاجتماعية والأكاديمية. فمارس بعض الآباء الضغط من أجل إلحاق أطفالهم بفصول دراسية أو برامج محددة أو مدارس مخصصة لرعاية النابغين، أو إشراك أطفالهم في المسابقات المختلفة، أو مشاركة الآباء لمدارس أبنائهم في رسم المسار التعليمي للطفل (Bicknell, 2014).

وتخلُص دراسة أخرى لأباء وأمهات ٢٤ طفلًا أمريكيًا من الأطفال الموهوبين في مجالات الموسيقا وبعض الألعاب الرياضية المختلفة إلى أنه خلال المراحل العمرية المبكرة من حياة الطفل يُسهم الوالدان في نقل خبراتهم لأبنائهم، وقد بدأت عملية نقل الخبرات عند بعض حالات الدراسة في سن العامين، كما أنها غالبًا ما تنبع من خبرة سابقة لأحد الوالدين أو كليهما بمجال موهبة الطفل، فغالبية الآباء والأمهات المشاركين سبق لهم أن مارسوا هواية أطفالهم نفسها. وخلال المراحل العمرية اللاحقة من حياة الأطفال يوفر الوالدان الدعم العاطفي والنفسي لأبنائهم، والموارد المالية اللازمة للرعاية، إلى جانب فرص الاكتشاف، والتوجيه، وإدارة وقت الفراغ، والتحفيز المستمر (Witte, et al., 2015).

ويربط التراث البحثي بوضوح بين توافر بعض السمات والخصائص في البيئة الأسرية وبين قدرة الطفل الموهوب على تطوير موهبته. وفي هذا السياق، اتجهت بعض البحوث لقياس تصورات الموهوبين وأولياء أمورهم حول بعض السمات الأسرية التي تتوافر في الأسر التي ترعى أطفالًا موهوبين، وتأثير ذلك على بناء هؤلاء الأطفال لقدراتهم. ففي الصين أكدت نتائج دراسة عن التصورات الذاتية للطلاب الموهوبين حول بيئتهم الأسرية على ميل الطلاب ذوي معدلات الذكاء المرتفعة إلى وصف أسرهم بأنها متماسكة، يرتبط أفرادها بروابط عاطفية، وأن التماسك الأسري الذي تتسم به عائلاتهم يوفر أفضل بيئة أسرية داعمة لمواهبهم (Chan, 2005). وفي الولايات المتحدة وصف ما يقرب من ١٥٠٠ طالب موهوب أكاديميًا وأولياء أمورهم -من خلال استطلاع إلكتروني أُجرى عبر الإنترنت- أسرهم بأنها أسر متماسكة ومرنة ويشيع بين أفرادها قدر كبير من التواصل والتفاعل الإيجابي، وانعكس ذلك في وجود مستويات عالية من الرضا عن أسرهم. واتضح من النتائج وجود علاقة إيجابية بين شيوع هذه السمات في البيئة الأسرية وبين مستوى الكفاءة الاجتماعية والمهارات الشخصية عند الطلاب الموهوبين (Olszewski-Kubilius, et al., 2014). وفي عام ٢٠١٦، حاولت دراسة ولاء إبراهيم قياس العلاقة بين مجموعة من المتغيرات المرتبطة بالمناخ الأسري للطلاب الموهوبين في السودان كالأمان الأسري، والتضحية، والتعاون، والشعور بالمسؤولية الأسرية وغيرها من السمات الأخرى في علاقتها بدافعية الطلاب الموهوبين للإنجاز والثقة بالنفس، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة إيجابية ملحوظة بين هذه السمات الأسرية وبين الدافعية للإنجاز والثقة بالنفس لدى الطلاب الموهوبين، كما لوحظ وجود علاقة ذات دلالة بين هذه السمات الأسرية والمستوى التعليمي للوالدين (السيد، ٢٠١٦).

وتميل البحوث للتأكيد أيضًا على أن أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في الأسر التي ترعى أطفالًا موهوبين تختلف عن نظيرتها من الأسر الأُخرى؛ لذلك اتجه عدد كبير من البحوث للتعرف على أكثر أساليب التنشئة الاجتماعية شيوعًا

بين الأسر التي ترعى أطفالًا موهوبين، واعتمدت غالبية هذه البحوث على مقاييس كمية إلى حد كبير، ومن بين هذه البحوث دراسة أحمد إسماعيل لعينة عشوائية من الطلاب الموهوبين الملتحقين بخمس مدارس للموهوبين بالأردن، وتكشف نتائج الدراسة عن أن الأسلوبين الاستقلالي والديموقراطي هما الأكثر انتشارًا بين أسر الطلاب الموهوبين المشاركين في الدراسة. ويتضمن الأسلوب الأول منح الابن فرصة القيام بالتخطيط وتنفيذ الأعمال معتمدًا على نفسه، ويتيح له فرصة حل المشكلات التي يواجهها بشكل مستقل. بينما يتضمن الأسلوب الديمقراطي منح الطفل حرية اختيار أنشطته وأصدقائه بالإضافة إلى حرية التعبير عن حاجاته وأفكاره ورغباته (السباتين، ٢٠١١). وتشير دراستان لفهد الزهراني لمجموعة من الطلاب الموهوبين بالمملكة العربية السعودية أحدهما أُجريت بمحافظة جدة (الزهراني، ٢٠١٨)، والثانية بمنطقة مكة المكرمة (الزهراني، ٢٠١٩) إلى شيوع الأسلوب المتساهل والديمقراطي في معاملة الأبناء الموهوبين خاصة مع الذكور منهم، ويلي هذين النمطين النمط التسلطي الذي يفرض فيه الآباء آراءهم على الأبناء، وهو أكثر شيوعًا بين الإناث مقارنة بالذكور. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة سهى بدوي لعينة من آباء وأمهات ٥٩ طفلًا موهوبًا من ذوي صعوبات التعلم بمدينة الجبيل بالمملكة العربية السعودية، وأشارت نتائجها إلى أن أسلوب التشجيع والمكافأة، والتقبل والاهتمام، والأسلوب الديمقراطي من أكثر أساليب التنشئة الاجتماعية الإيجابية استخدامًا مع الأبناء الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم، وتشير النتائج لوجود علاقة ارتباط إيجابية بين انتشار هذه الأنماط وارتفاع مستوى التفكير الإيجابي عند التلاميذ (منصور، ٢٠٢١).

٢- المنظور الثقافي: الموهبة رأسمال ثقافي:

يعود الفضل إلى جماعة الفيزيوقراط ومن بعدهم آدم سميث ثم كارل ماركس كأول من استخدموا مصطلح رأس المال في كتاباتهم. لقد حاول هؤلاء المنظرون تحرير مصطلح رأس المال من اقتصاره على رأس المال النقدي ليجعلوه يتضمن

أشكالًا أخرى غير نقدية. وبالرغم من أهمية التحليلات التي قدمها هؤلاء المنظرون لمفهوم رأس المال إلا أنهم لم يتمكنوا من تحرير المصطلح من أسسه الاقتصادية المادية، فظل المصطلح يُستخدم لفترات طويلة في تفسير التفاوتات الطبقية، فاستخدمه آدم سميث للإشارة إلى جميع متطلبات الإنتاج التي تحقق الدخل بما في ذلك المهارات التي يمتلكها الأفراد، بينما ظلت الماركسية تنظر إلى رأس المال باعتباره فائض القيمة أو الربح الناتج عن استغلال طبقة الرأسماليين للعمال المأجورين، فهو ليس وسيلة للإنتاج في حد ذاته، بل وسيلة استغلال تمتلكها الطبقة البورجوازية دون غيرها. ثم جاء التطور الذي شهده المفهوم على يد عالم الاجتماع والأنثروبولوجيا الفرنسي بيير بورديو ليُخرج المفهوم من دائرة التفسيرات المادية، ويجعل له أشكالًا متعددة مادية وغير مادية كرأس المال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولكي يُمكن الفاعلين الاجتماعيين سواء كانوا أفرادًا أو مجتمعات من استثمار ومراكمة رأس المال (أبو دوح، ٢٠١٩: ص ص ٣٢١-٣٣٦). ومن هنا تبلور مفهوم رأس المال الثقافي على يد بورديو ليشير إلى "مجموعة العناصر الرمزية التي يمتلكها الأفراد نتيجة لكونهم أعضاء ينتمون لطبقة اجتماعية معينة مثل المهارات، والأذواق، والقدرات الثقافية واللغوية، والممتلكات المادية، والمؤهلات أو الألقاب أو الدرجات العلمية التي ترمز إلى الكفاءة والسلطة الثقافية للفرد، وغيرها من العناصر الأخرى" (Bourdieu and Passeron, 1990).

ولرأس المال الثقافي أشكال متنوعة، يشير الشكل الأول منها للحالة المتجسدة المدمجة في العقل والجسد، ويبدأ تراكم رأس المال الثقافي بشكله المتجسد في مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يتطلب الأمر إجراءً تربويًا، واستثمارًا للوقت من قبل الوالدين أو أفراد الأسرة الآخرين أو المهنيين المستأجرين لتوعية الطفل بالفروق الثقافية. كما يتجسد رأس المال الثقافي في أشكال موضوعية كالكتب، والأعمال الفنية والأدبية التي يمكن تحديد قيمتها ماديًا، أو في أشكال مؤسسية يُعبر عنها في هيئة مؤهلات تعليمية مستقلة رسميًا عن حاملها (Bourdieu and

Richardson, 1986: p.258). أو قد يتخذ شكل الممارسات الثقافية كزيارة المتاحف، وارتياد المسارح، وحضور الندوات، وغير ذلك من ممارسات مختلفة في مجال الثقافة (عبد الوهاب، ٢٠٠٣: ص ص ١٢٢-١٣٧).

لقد طرح بورديو مفهوم رأس المال الثقافي في ستينيات القرن العشرين، واعتبره أداة تحليلية لفهم ثقافة الطبقة البورجوازية، وأكد على أن التوزيع غير المتكافئ لرأس المال الثقافي بين الأفراد يُسهم في الحفاظ على التدرج الطبقي تحت عباءة الموهبة الفردية والجدارة الأكاديمية. ووجه بورديو سهام النقد لمفاهيم كالذكاء، والموهبة، والكفاءة المدرسية، والجدارة الأكاديمية، واعتبر هذه المفاهيم وهمًا، وأجرى أبحاثًا للتأكيد على أن الأفراد لا يمتلكون ذكاءً فطريًا أو "موهبة"، وللتدليل على زيف هذه المفاهيم. وفي هذه البحوث، أشار بورديو إلى أن ثقافة الطبقة الاجتماعية المسيطرة في المجتمع تتجسد في النظام التعليمي في المدارس والجامعات، أي أن المؤسسات التعليمية تضمن ربحية رأس المال الثقافي للمسيطر، وتشهد على مواهبهم وكفاءتهم الأكاديمية؛ وبالتالي فإن الاختلافات التعليمية غالبًا ما يُساء إدراكها على أنها موهبة فردية بدلًا من النظر إليها في ضوء الاختلافات الطبقية، متجاهلين حقيقة أن القدرات التي تُقاس بالمعايير المدرسية غالبًا ما تنبع ليس من المواهب الطبيعية للأفراد، وإنما من درجة التقارب بين ثقافة الطبقة ومتطلبات النظام التعليمي أو المعايير التي تحدد النجاح ضمنه (Mills, 2008: pp83-84). لقد نظر بورديو للنظام المدرسي برمته على أنه مؤسسة لإعادة إنتاج ثقافة الطبقة المهيمنة التي تتحكم في الموارد الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع. واعتقد بورديو أن عمليات إعادة الإنتاج الثقافي تتم من خلال روابط خفية بين الكفاءة المدرسية والتراث الثقافي. وأشار بورديو إلى أنه بالرغم من وجود بعض الأنظمة التعليمية القائمة على تكافؤ الفرص بين الطلاب، إلا أن القليل جدًا من هذه الأنظمة يكون لديها القدرة على إعادة إنتاج ثقافات معارضة لثقافات الطبقات المهيمنة، أو إنتاج فاعلين اجتماعيين قادرين على التلاعب بتلك الثقافة بشكل شرعي (Mills, 2008: pp.83-85).

وفي المجال الفني، اعتقد بورديو أن استحضار العوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية المؤثرة في المواهب الفنية يكشف أيضًا عن زيف مقولة الموهبة أو العبقرية الطبيعية، وأكد بورديو على أن مصدر هذا الزيف هو تجاهل السياق السوسيوتاريخي للحقل الفني الذي أُنتِجت فيه. فعلى النقيض من كانط الذي جعل من الحكم على العمل الفني مسألة فردية، فإن بورديو يرى أنه نتاج تربية اجتماعية وثقافية، ومنه تغدو الإبداعات الفنية وليدة البنى الاجتماعية لعصرها (بربزي، ٢٠١٢: ص ص ١٤-٢٣). لقد كان بورديو حريصًا على رفض فكرة الأساس الطبيعي والبيولوجي للموهبة والذكاء كليةً، وطالب في كتابه "أسئلة علم الاجتماع" بضرورة التخلي عن هذه الأسس، وأكد على أن تسليم علماء النفس بها جعلهم محاصرين ضمن هذه الأفكار، وأنها أوقعتهم في مأزق أخلاقي (Bourdieu, 1993: p178).

إن أفكار بورديو تضمنت قطيعة واضحة مع نظريات رأس المال البشري، وعلم النفس الغربي، والسياسة الليبرالية الجديدة التي تقود السياسات التعليمية في الكثير من دول العالم، وجميعها كانت "تفسر" الاختلافات في النتائج المدرسية كأثر للقدرات الطبيعية (Mills, 2008: pp.83-85). وقد تأثر ويلفريد ليجنيير بالأفكار التي طرحها بورديو حول الموهبة، خاصة نقده للأساس الطبيعي والبيولوجي للموهبة والذكاء، فتجاهل ليجنيير في تحليله للبناء الاجتماعي للموهبة الأساس النفسي للموهبة عند الأطفال. واعتقد ليجنيير أن قوة التحليل الاجتماعي البنائي للموهبة تكمن في الكشف عن كيفية تضافر خطابات وظروف اجتماعية وتاريخية معينة يُضفى عليها الشرعية في الخطابات المهيمنة التي تبني الممارسة والمعتقدات السائدة حول المواهب. ففي هذه الحالة تصبح الأفكار الراسخة اجتماعيًا بالنسبة للطفل الموهوب هي الأفكار التي تطرحها ثقافة الطبقة المهيمنة (Mazzoli Smith, 2014).

لقد قادت الأفكار التي قدمها بورديو حول الأسس الاجتماعية والثقافية

للموهبة الكثير من البحوث حول العالم لاختبار هذه الفرضيات، والتحقق من قدرتها على تفسير الواقع الاجتماعي لجماعات الموهوبين. فباستخدام فنيات دراسة الحالة وتوظيف طريقة المقابلات المتعمقة مع المعلمين حاولت دراسة (مأمونة إقبال) فهم تجربة تعلم الطلاب في مدارس الهندسة المعمارية في باكستان، واختبار مفاهيم بورديو حول الإعداد الاجتماعي الذي تلعبه المدارس لطلابها. وكشفت الدراسة عن وجود اختلافات بين الطلاب في رأس المال الثقافي بحسب المستوى الاجتماعي الاقتصادي للطالب. وأن القيم العائلية تسهم بشكل أساسي في تشكيل رأس المال الثقافي لهؤلاء الطلاب، فهم يرون العالم بعيون والديهم. فالطلاب من المستويات الاجتماعية الاقتصادية العليا يكونون أكثر وعيًا بالعالم من حولهم، ولديهم مهارات اتصال أفضل، وصورة ذاتية إيجابية، ويكونون أكثر ثقة، ويؤمنون بأفكارهم بدرجة عالية، وبالتالي فهم يمتلكون رأسمالًا ثقافيًا أعلى. وتعطي هذه السمات الثقافية أفضلية للطلاب من الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية الأعلى على تعلم الهندسة المعمارية؛ حيث يوفر المناخ الأسري للطلاب في هذه الطبقات الاجتماعية فرصًا متعددة للسفر، وقراءة الكتب الجيدة، وزيادة التعرض للفن، وفهم الثقافة بشكل أفضل؛ وهو ما يُيَسر عليهم فهم ثقافة العمارة، على عكس الطلاب من الخلفيات الثقافية والاجتماعية الأقل الذين لا يتعرضون لهذه المؤثرات الثقافية داخل محيطهم الأسري، ويجدون صعوبة في فهم ثقافة العمارة، وفي إنتاج التصميمات المعمارية الإبداعية في بداية مراحل تعلمهم؛ وبالتالي يكون لديهم طريق أكثر صعوبة للنجاح في هذه المدارس (Iqbal and Roberts, 2019).

لقد كان بورديو مهتمًا بتوضيح الطريقة التي ينتقل بها رأس المال الثقافي باستمرار في المجتمع، وتراكمه بطريقة تُديم التفاوتات الطبقية. وانطلاقًا من الأفكار التي طرحها بورديو حول العلاقة بين امتلاك الأفراد لرأس المال الثقافي وبين الوضع الطبقي لعائلاتهم في المجتمع، وتأثير ذلك على الموهبة. حاولت بحوث أخرى أن تختبر متغيرات أخرى في علاقتها برأس المال الثقافي للطلاب

الموهوبين، ومن بين المتغيرات التي خضعت للاختبار متغيرات كالأصل العرقي، والموطن الجغرافي. ففي دراسة لمجموعة من الأطفال البيض والسود في عمر ١٠ سنوات تقريبًا، ممن يشكلون أوضاعًا طبقية متباينة، أكدت الدراسة على أن للحياة الأسرية تأثيرًا مهمًا على فرص حياة الأطفال، وتكون هذه التأثيرات أكثر وضوحًا عند مقارنتها في ضوء البعد الطبقي مقارنة بالعرق. حيث تشير النتائج إلى أن آباء الطبقة الوسطى من البيض والسود ينخرطون في ممارسات متعمدة ومتواصلة لتحفيز نمو أطفالهم وتنمية مهاراتهم المعرفية والاجتماعية. لقد أدى هذا النهج إلى إحساس أطفال الطبقة الوسطى بمواهبهم ومهاراتهم، لقد كانوا يتعلمون التفكير في أنفسهم على أنهم مميزون ويستحقون أن يكرس الكبار الوقت والطاقة لأنشطتهم الترفيهية. في حين ينظر الآباء والأمهات من الطبقة العاملة إلى نمو الأطفال على أنه يكتشف تلقائيًا، طالما وفروا لهم الراحة والطعام والمأوى وغير ذلك من أشكال الدعم الأساسي؛ لذلك لم يُظهر الأطفال من الأسر ذات الدخل المنخفض نفس أنواع القيادة والتحفيز وسلوكيات المبادرة التي شوهدت بين الأطفال من الأسر ذات الدخل المتوسط (Lareau, 2002). وفي المجتمعات التي تشهد تنوعًا ثقافيًا وعرقيًا وإثنيًا يكون رأس المال الثقافي مكملًا للمواهب ومحفزًا لها، حيث تشير نتائج دراسة عن إحدى المقاطعات الكندية أن الثراء الثقافي واللغوي لسكان هذه المقاطعة، والمتمثل في تنوع اللغات واللهجات والتقاليد والعادات، وثراء الحياة الأسرية بالكثير من القيم الإيجابية التي تحض على العمل والإنجاز كان له تأثير واضح على تطور الموهبة الفكرية بين أبناء هذا المجتمع. وتؤكد الدراسة على أهمية تصميم برامج لرعاية الموهوبين تحقق مبدأ العدالة الاجتماعية بين كافة أبناء المجتمع، وتراعي الاختلافات الموجودة بين السكان، وتستفيد من التنوع الثقافي في تطوير المواهب وثقلها، وتوفر الموارد اللازمة لتطوير مهارات وقدرات الوالدين والأسرة ككل لفهم كيفية التعامل مع المواهب المختلفة، وتحقيق مبدأ الشراكة المجتمعية بين المؤسسات الراعية للموهوبين وبين الأسرة (Kostenko and Merrotsy, 2009).

لقد أولى بورديو اهتمامًا ملحوظًا بالتحولات التي تحدث في أشكال رؤوس الأموال التي يمتلكها الأفراد، فامتلاك الفرد لرأسمال ثقافي مثلًا يجعله مؤهلًا لامتلاك رأسمال مادي من خلال قاعدة التحول التي تحدث في رؤوس الأموال. فبالرغم من أن رأس المال الثقافي ليس مالًا بالمعنى الحرفي للكلمة، إلا أنه يتحول إلى مال بدرجات متفاوتة. فالمكانة المرموقة التي يتمتع بها شخص موهوب أو نابغ في مجال معين كالأديب، أو الفنان، أو الرياضي، أو العالم، أو السياسي، هي مكانة متميزة ومرموقة ضمن ميدان معين تمكنه في وقت لاحق من أن ينضم إلى نادٍ رياضي أو ثقافي متميز، أو يحظى بدعوات إلى مناسبات الصفوة، أو يتم اختياره لشغل منصب مرموق؛ وجميعها تكون من وجهة نظر بورديو ذات منافع مادية في النهاية. ويرى بورديو أن عملية التحول لرأس المال الثقافي إلى رأسمال مادي تتم من خلال آليتين، الأولى أفقية كأن يحرص الرياضي الناجح، أو الفنان أو العالم المرموق بأن يحول مكانته المرموقة إلى أموال، كأن يسمح باستخدام اسمه في الإعلانات عن منتج معين، أو وكالة تأمين، حيث تساعد شهرته على جذب العملاء. أما الآلية الثانية رأسية تتم عبر الأجيال، حيث تحرص العائلات والأسر الغنية على أن تُوفر لأبنائها كافة سبل التعلم والنجاح (العريفي، ٢٠٠٩: ص ص ١٣٠-١٣١) داخل مجالات الموهبة المختلفة الأكاديمية والفنية والأدبية والرياضية، وغيرها. وقد حظيت الآلية الأخيرة -التي تلعب فيها الأسرة دورًا واضحًا في تحول أشكال رأس المال عبر الأجيال- باهتمام بعض البحوث لاختبارها إمبيريقيًا بالتطبيق على برامج الموهوبين والنابغين، حيث تشير نتائج إحدى الدراسات إلى تسرب الغالبية العظمى من أبناء الأسر الفقيرة الذين أُلحقوا ببرامج الموهوبين بمجرد التحاقهم بهذه البرامج، وتكشف المقابلات المتعمقة التي أُجريت مع الأطفال المتسربين عن شعورهم بالحرج من الانضمام لهذه البرامج، وبأنهم يشعرون بأن هذه البرامج مخصصة لأبناء الأسر الغنية، كما أن محدودية وصولهم إلى رأس المال الاقتصادي يشعرهم بعدم الاستحقاق ويؤدي لغياب ثقتهم الأكاديمية. وتشير الدراسة إلى أنه في الحالات المحدودة التي استمر فيها أبناء

الأسر الفقيرة في برامج الموهوبين، لوحظ قيام هؤلاء الأطفال بالخلط الواضح للأذواق الثقافية النخبوية مع الأذواق الثقافية التي ورثوها عن عائلاتهم الفقيرة (Reay, 2004).

وعلى الرغم من المكاسب العلمية والأخلاقية التي تحققت من وراء الأفكار التي طرحها بورديو، وإمكانية الاستفادة منها في فهم كيفية تشكل الموهبة، وأساليب رعايتها داخل الأسرة، إلا أن محاولات بورديو للهروب من التفسيرات البيولوجية الفطرية للموهبة أوقعته في خطأ تفسيرها على أسس طبقية، حتى بدت الموهبة والنبوغ وكأنها حكر على أبناء الطبقات المتوسطة والعليا ممن يملكون أشكالًا متنوعة من رأس المال الثقافي يورث إليهم من عائلاتهم التي تمتلك هذا الشكل من رأس المال، في حين حرمت تحليلات بورديو أبناء الطبقات الفقيرة من إمكانيات التفوق والنبوغ، وهو يتنافى مع ما تشير إليه البحوث المعاصرة حول الموهبة التي أكدت على إمكانية تواجدها داخل كافة الطبقات الاجتماعية بنسب متفاوتة. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن انشغال بورديو بتفسير الدور الذي تلعبه النظم التعليمية المدرسية في إعادة إنتاج ثقافة الطبقة المهيمنة في المجتمعات الغربية، جعلت أفكاره مقصورة على المجال الأكاديمي تقريبًا، وظلت إمكانية الاستفادة من أفكاره في المجالات الأخرى للموهبة كالمجالات الرياضية والأدبية محدودة إلى حد كبير.

سادسًا- الإطار المنهجي للدراسة:

١- منهج الدراسة:

استعانت الدراسة بمنهج دراسة الحالة، وبالتحديد أسلوب دراسات الحالة المتعددة Multiple Case Studies، وذلك لتحقيق ثلاثة أهداف أساسية: أولها: جمع بيانات شاملة ومفصلة عن أساليب الاكتشاف والرعاية للمواهب داخل المحيط الأسري، وصور الدعم المقدمة للموهوبين داخل الأسرة، والتحديات والصعوبات التي تواجه الأسر المصرية في دعم ورعاية أبنائها الموهوبين،

وأساليب التغلب عليها. أما الهدف الثاني لاستخدام منهج دراسة الحالة فقد تمثل في الرغبة في تنويع مصادر وطرق جمع البيانات، بما يمكننا من الوقوف على حجم ومقدار المشاركة الفعلية للأسرة المصرية في صناعة المواهب. بينما يكمن الهدف الثالث في الرغبة في المحافظة على تكامل وتجانس حالات الدراسة قدر الإمكان.

٢- عينة الدراسة:

مجموعة من الموهوبين في مجالات الموهبة المختلفة (الأكاديمية، الفنية، والرياضية)، وهي عينة عمدية مقصودة، اختيرت في ضوء مجموعة من المعايير المحددة سلفًا، أهمها أن يكون الشخص الموهوب قد أظهر تفوقًا أو أداءً استثنائيًا متميزًا داخل أحد مجالات الموهبة سالفة الذكر، وأن يكون قد خضع بالفعل للتقييم من قبل أشخاص متخصصين في نفس مجال موهبته، وأكدوا على تفوقه ونبوغه، وأن يكون الموهوب قد سعى لتطوير هذه الموهبة وتنميتها، وحقق فيها مستويات متقدمة من النبوغ. وقد بلغ إجمالي عدد الموهوبين المشاركين في هذه الدراسة (٢١) موهوبًا، بواقع (٧) موهوبين من كل مجال من المجالات الثلاثة السابقة، وتتراوح أعمارهم ما بين ١١ : ٢١ عامًا، ويمثلون كافة المستويات التعليمية الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية، وتُقيم أسرهم جميعًا داخل محافظتي القاهرة والجيزة. وقد أمكن الوصول إلى هؤلاء الموهوبين من خلال التنسيق والتواصل مع بعض المسؤولين ببعض الجهات المعنية باكتشاف ورعاية المواهب في مصر، كدار الأوبرا المصرية، والهيئة العامة لقصور الثقافة، ووزارة الشباب والرياضة، ومدارس المتفوقين في العلوم والتكنولوجيا STEM، وبعض مؤسسات المجتمع المدني العاملة في مجال دعم الموهوبين، إلى جانب الإدارات الجامعية لرعاية الشباب. كما شملت عينة الدراسة مجموعة من آباء وأمهات الموهوبين المشاركين في الدراسة، وقد بلغ عددهم (٢١) أبًا وأمًا، فكل موهوب شارك في الدراسة تمت مقابلة أحد والديه (الشخص المسؤول عن رعايته داخل

الأسرة بحسب ترشيح الموهوب نفسه). وضمت العينة (٥) من المسؤولين العاملين بمؤسسات اكتشاف ورعاية المواهب التي سحبت منها العينة. وبذلك يصبح إجمالي المبحوثين المشاركين في الدراسة (٤٧) مبحوثًا. وبشكل عام، تشكل هذه الدراسة دراسات حالة لأدوار (٢١) أسرة مصرية في اكتشافهم ورعايتهم لأبنائهم الموهوبين.

٣- طرق جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة الحالية على ثلاث طرق في جمع البيانات، بهدف توظيفها كلية للتحقق من أهداف الدراسة.

أ- المقابلات المتعمقة:

شكلت المقابلات المتعمقة الطريقة الأساسية في جمع البيانات اللازمة للدراسة الحالية. ونظرًا لتنوع مصادر البيانات اللازمة للدراسة ما بين الموهوبين أنفسهم، وأولياء أمورهم (الآباء أو الأمهات)، والمسؤولين ببعض مؤسسات الرعاية والاكتشاف، صمم الباحث ثلاثة أدلة للمقابلات المتعمقة: الدليل الأول للموهوبين أنفسهم، والثاني لأولياء أمورهم، والثالث للمسؤولين العاملين بمؤسسات اكتشاف المواهب. وكانت غالبية أسئلة هذه الأدلة تدور حول عملية الاكتشاف ورعاية الموهبة داخل المحيط الأسري، ودور الأسرة في تلك العملية، وعلاقة الأسرة بالمؤسسات الأخرى في عملية الاكتشاف والرعاية، وصور الدعم المؤسسي التي يحصل عليها الموهوب أو أي من أفراد أسرته، هذا إلى جانب التحديات التي تواجهها الأسرة في عمليات الاكتشاف أو الرعاية للمواهب، وطرق التغلب عليها.

ب- الملاحظة:

استُخدمت الملاحظة كأداة مكملة للمقابلات المتعمقة في الحصول على بيانات وصفية وشواهد ميدانية حول حالات الدراسة. واستخدمت على هذا النحو

في سياقين مختلفين، السياق الأول، أثناء المقابلات المتعمقة التي أُجريت مع بعض الموهوبين وأولياء أمورهم داخل المؤسسات التي تولت عملية الترشيح لهؤلاء الموهوبين. أما السياق الثاني الذي استخدمت فيه الملاحظة، فقد استخدمت أثناء بعض المناسبات أو الفعاليات التي يشارك فيها الموهوبون وأولياء أمورهم، كالتدريبات الرياضية، وحفلات الغناء أو العزف الموسيقي التي تقام للمواهب الفنية، وحفلات التكريم التي تعقدها بعض المؤسسات الداعمة للموهوبين، فجميع هذه المناسبات والفعاليات شكلت مجالات واقعية كاشفة عن الكثير من صور الدعم والمساندة التي تقدمها الأسر لأبنائها الموهوبين.

ج- الوثائق والسجلات:

تحتفظ بعض المؤسسات التي تولت عملية الترشيح للموهوبين المشاركين في هذه الدراسة بسجلات ووثائق تتضمن بعض البيانات المهمة عن الموهوبين كبعض البيانات الأساسية عن الموهوب، ومجال موهبته، والأساليب التي اتبعت في تقييم هذه الموهبة، ومستويات التقدم والإنجاز التي حققها، والمسابقات التي شارك فيها، وصور الدعم التي تقدمها المؤسسة للموهوب وأسرته، وبعض الأعمال التي أنتجها الموهوبون عينة الدراسة كما في حالة المواهب الفنية، وغيرها من البيانات الأخرى المكملة التي وظُفت في إطار دراسات الحالة.

سابعًا- نتائج الدراسة:

١- البيئة الأسرية ومدى وملاءمتها للموهبة:

تتحدد مدى ملاءمة البيئة الأسرية لتنمية المواهب ورعايتها في ضوء مجموعة من الخصائص والسمات التي تتوافر في البيئة الأسرية لتجعلها مؤهلة للقيام بهذا الدور، ويأتي في مقدمة هذه الخصائص درجة الترابط والتماسك الأسري، وقدرة النظام الأسري على التكيف وتقديم الدعم والاستجابة لاحتياجات الأطفال الموهوبين (Olszewski-Kubilius, et al., 2014). يضاف إلى ذلك، التنظيم والإدارة الجيدة

لوقت الموهوب، والمستوى التعليمي للوالدين، ومدى توافر قدوة للموهوب داخل الأسرة تدفعه للاقتداء بها (Zbainos and Kyritsi, 2011)، ودرجة ارتباط أو تفضيل أحد الوالدين للمجال الذي يُظهر فيه الطفل موهبته، ودرجة وعي الوالدين بطبيعة الموهبة وأساليب تنميتها. وتكشف نتائج الدراسة الحالية عن شيوع ثلاثة من المحددات التي تحدد مدى ملاءمة البيئة الأسرية المصرية لرعاية الموهبة نعرضها فيما يلي:

أ- مدى قوة العلاقات الأسرية:

بشكل عام، وصف غالبية الموهوبين المشاركين في الدراسة أسرهم على أنها أسر مترابطة، وأنهم يرتبطون بأفراد أسرهم بعلاقات قوية، سواء علاقتهم بوالديهم أو حتى إخوتهم الأكبر والأصغر سنًا. كما يُلاحظ أن غالبية الموهوبين المشاركين في الدراسة جاءوا من أسر مستقرة أسريًا، ويرتبط فيها الوالدان بعلاقات قوية ومتماسكة، ويسُود في بعض هذه الأسر قدر كبير من التنسيق بين الوالدين في تقاسم أعباء الرعاية لأبنائهم الموهوبين، بحيث يكون أحد الوالدين متاحًا بجوار الطفل لتلبية متطلبات تنمية الموهبة كحضور التدريبات، أو ورش العمل، أو المسابقات، وغيرها. وتتحدد درجة التواصل بين جماعات الموهوبين وباقي أفراد أسرهم، وكذلك قوة العلاقات الأسرية وجودتها في ضوء ثلاثة محددات أساسية: حجم الأسرة، وجنس الطفل الموهوب، وعمره. ففي كل أسرة يكون لدى الوالدين موارد محدودة (وقت، مال، جهد، وغيرها)، وكلما كبرت الأسرة، قل الجزء المخصص لكل طفل من هذه الموارد، بحيث تتأثر العلاقات الأسرية سلبًا بالمنافسة على هذه الموارد (Ben-Artzey Schieber, 2019). واتضح من خلال المقابلات المتعمقة، أن الأطفال الموهوبين الذين كانوا من أسر صغيرة الحجم كانوا أكثر تأكيدًا على قوة العلاقات التي تربطهم بوالديهم وبإخوتهم الأشقاء، خاصة إذا كان هؤلاء الإخوة يمتلكون الموهبة نفسها، أو مواهب أخرى في المجال نفسه. فالحجم الصغير للأسرة يسمح بمتابعة جيدة من جانب الأبوين

لتحسن مستويات الموهبة عند الأبناء، ويجعلهم قريبين من الأبناء بدرجة أكبر. وعلى العكس من ذلك، أشار الموهوبون من الأسر التي يزيد عدد أفرادها على أربعة أفراد إلى صعوبات في التواصل مع والديهم وإخوتهم، وضعف في قدرات الوالدين على تخصيص وقت كاف لمتابعة معدلات التحسن في مواهب الأبناء خاصة في الأسر التي ترعى أكثر من طفل موهوب. ومن المحددات الأخرى التي تحُدد شكل العلاقات الأسرية جنس الطفل الموهوب وعمره، فقد أكد جميع الموهوبين المشاركين في الدراسة على أن المتابعة الجيدة للوالدين أو أحدهما لأنشطتهم تكون أكثر وضوحًا في المراحل السنية المبكرة، ومع تقدم الطفل في العمر -خاصة الذكور- تنخفض درجة المتابعة والتواصل، ويُصبح الطفل مسؤولًا بشكل أكبر عن تحسين مهاراته وصقل موهبته. وعلى عكس ذلك، تُحاط الأنثى الموهوبة بحماية أسرية طيلة مراحل عمرها المختلفة، وتتضح هذه الحماية الأسرية في إلزامية مرافقة أحد الوالدين للفتاة في جميع الأنشطة التي تمارسها الفتاة خارج المنزل لتحسين موهبتها. ولا نستطيع اعتبار هذا الشكل من الحماية تفضيل من جانب الأسرة للإناث على حساب الذكور، بل يُعد جزءًا من المهام التي تضطلع بها الأسرة المصرية في حماية الفتيات عمومًا خاصة أثناء تواجدهن في المجال العام، حيث يسود اعتقاد عند غالبية الأسر المصرية أن تواجد الفتاة بمفردها خارج المنزل قد يُعرضُها لصور مختلفة من المضايقات. وقد عبرت عن ذلك إحدى أمهات الأطفال الموهوبات في مجال الرسم بقولها: "*مقدرش أسيب بنتي لوحدها تروح ورشة الرسم، لازم أسلمها للميس بتاعتها يدًا بيد*".

ب- المستوى التعليمي للوالدين:

تخلُق القدرات التعليمية للوالدين بيئة إنمائية مهمة لتنمية مواهب الأطفال تفوق في بعض الأحيان قدرات الوالدين المادية خاصة إذا كان الوضع المادي للوالدين مُكتسبًا، وليس نتاجًا لمستواهم التعليمي، أو مُتولدًا عن عملهم الخاص (Rindermann, 2018). وتُظهر المقابلات المتعمقة التي أُجريت مع الموهوبين

وأسرهم أن البيئة الأسرية التي يكون فيها أحد الوالدين أو كلاهما حاصلًا على مستوى تعليمي جامعي أو أعلى تكون مؤهلة بشكل أكبر لاحتضان الموهبة ورعايتها منذ وقت مبكر في حياة الطفل، ويكون الوالدان أكثر إدراكًا لطبيعة هذه الموهبة، ومتطلبات رعايتها. وينعكس هذا الإدراك في اهتمام أكبر من جانب الوالدين أو أحدهما بأهمية الوقت الذي يخصصه الموهوب لثقل موهبته، والوقت الذي يخصصه الوالدان أنفسهم لمتابعة مستويات تقدم الطفل. وعلى العكس من ذلك، لوحظ في الأسر ذات المستويات التعليمية المنخفضة للوالدين عدم اكتراث من جانب الوالدين بأهمية موهبة الطفل، ولا بدرجات التقدم والتحسن فيها. ويسود اعتقاد عند بعض هذه الأسر أن هناك مواهب لا تستحق الرعاية كالرسم والغناء والموسيقا، حيث يُنظر إليها على أنها استنزاف لوقت الطفل الذي من المفترض أن يخصصه لأنشطة أخرى تحظى بأهمية أكبر في حياة الأسرة كاستذكار الطفل لدروسه، أو البحث عن فرصة عمل لمساعدة الأسرة. وقد ذكر أحد الموهوبين في مجال الرسم أن والديه يطالبانه دائمًا بالتوقف عن مزاولة هذه الموهبة، وعدم حضور الورش التدريبية المخصصة لها. وعندما يكون نبوغ الطفل وتفوقه في المجالات التقنية المعقدة كمجال الابتكارات العلمية، يعوق المستوى التعليمي المنخفض للوالدين من فهم ما يقوم به الطفل من أنشطة في هذا المجال، ومن إمكانية تقديم الدعم الكاف لمثل هذا النوع من المواهب. وتشير البحوث إلى أن سوء الفهم والتقدير لقدرات الموهوبين، وعدم تقديم الدعم الكافي لهم من والديهم يتسبب في شعورهم بالسلبية، والشك في قدراتهم، وانخفاض تقديرهم لذواتهم (Koksal Akyol, and G. Salı, 2013). وتعبر عن ذلك بوضوح حالة إحدى الموهوبات الملتحقات بإحدى مدارس رعاية الموهوبين، والتي أكدت على أن والدتها صاحبة المستوى التعليمي الجامعي هي الأكثر اهتمامًا بموهبتها العلمية، والأكثر رعاية ودعمًا لها، وتفهمًا لمتطلباتها، وأن اهتمام الأم بموهبتها بدأ منذ وقت مبكر من حياتها على عكس والدها -صاحب المستوى التعليمي المتوسط- الذي لم يُعرها القدر نفسه من الاهتمام، وعارض فكرة التحاقها بمدرسة

الموهوبين. تتفق هذه الرواية مع رواية أحد الشباب الموهوبين في المجال العلمي، فقد ولد هذا الشاب لأبوين حاصلين على مؤهلات متوسطة، وبحسب روايته لم يكن للأب أو الأم أي دور في اكتشاف موهبته، ولكن عملية الاكتشاف لعبت فيها عوامل أخرى الدور الأهم والأبرز، كمستوى نبوغ هذا الشاب وتفوقه في مجال الابتكارات العلمية، والدور الداعم الذي حصل عليه الشاب في مدرسته، إلى جانب رغبته وطموحه الشخصي في إثبات تفوقه للآخرين خاصة والديه، اللذين كانا يُشكلان -في بعض الأحيان- عقبة في طريق تفوقه، وهو ما عبر عنه هذا الشاب بقوله: *"والدي ووالدتي في أحيان كتيرة بيكون ليهم وجهة نظر مختلفة عني في اللي أنا بعمله، زي المسابقة العلمية اللي كنت عايز أشارك فيها، في البيت كانوا رافضين مشاركتي، وكانوا شايفين إني هخسر، بس قدرت أشارك من وراهم وأخدت مركز أول. اللي بينقصني في الأسرة هو الدعم النفسي والمعنوي، ده بالنسبة لي أهم من أي دعم"*.

ج- مدى توافر القدوة الأسرية:

يشير مفهوم القدوة الأسرية في هذا السياق إلى وجود شخص من أفراد الأسرة أو الأقارب الآخرين يشارك الطفل الموهوب قيمه الشخصية، واهتماماته الخاصة، والوقت، والمهارات، بحيث يكون هذا الشخص موجهًا للطفل طيلة حياته (Berger, 1990). فهي علاقة مشتركة ديناميكية يتم فيها تمرير القيم والمواقف والعواطف والتقاليد من شخص إلى آخر (Boston, 1976). وتنبع أهمية القدوة الأسرية من كونها العامل المحفز الذي يوجه اهتمام الموهوب لمجال محدد من مجالات الموهبة، فهناك بعض مجالات الموهبة لا يتولد لدى الموهوب اهتمام داخلي فطري بها إلا بوجود قدوة أسرية في هذا المجال، على عكس مجالات أخرى تستطيع جذب انتباه الموهوب بها حتى في ظل عدم وجود قدوة عائلية. وتكشف دراسات الحالة عن أن تفوق أو نبوغ أحد الوالدين أو كليهما أو أحد الإخوة في مجال محدد من مجالات الموهبة شكل عاملًا مهمًا في تشجيع الكثير

من الموهوبين عينة الدراسة على خوض غمار المنافسة والنبوغ في هذا المجال. وتتضح أهمية هذا العامل عندما يكون تفوق الوالدين أو الإخوة في المجال نفسه الذي تسعى الأسرة لاكتشاف مواهب أبنائها فيه، ففي هذه الحالة يتحول نموذج الأب أو الأم في هذا المجال إلى قدوة لباقي الأبناء الذين يرغبون في الاقتداء به، كما تصبح محاولات الآباء والأمهات لاكتشاف مواهب الأبناء داخل هذا المجال بمثابة تطلعات شخصية من جانبهم بأن يقوم الأبناء بإنجاز وتحقيق ما عجز عنه الوالدان في هذا المجال. وغالبًا ما يكون الدعم المقدم من الأبوين في عملية الرعاية غير مشروط، وبالقدر الذي يكفل لهؤلاء الأبناء الاستمرار في مجال موهبتهم، وتحقيق مستويات متقدمة من النبوغ في هذا المجال يفوق ما حققه الوالدان. وقد وصفت إحدى الموهوبات في رياضة الجودو الدور الذي لعبه والداها في خلق اهتمام مبكر لديها بالمجال الرياضي بعد التفوق الذي حققه الأبوان في رياضتين مختلفتين، لكنهما توقفًا عن ممارسة هوايتيهما لظروف مختلفة.

"ماما في الأول بدأت تعلمني السباحة من وأنا صغيرة جدًا، لأن مامتي كانت لعيبة سباحة بس توقفت عند الجواز، وبابا كان بيلعب بوكس بس علشان ظروف شغله كطبيب وقف برضه، فبدأنا أنا وأخواتي رياضة من بدري. وطبعًا الواحد وهو صغير الحاجات دي مش من اختياره، مكنش باختياري كان مجهود بابا وماما، لما كبرت بدأت اختار وأحدد أنا عايزة أكمل في أنهي رياضة".

إن وجود القدوة الأسرية يجعل الطفل على دراية بمتطلبات التفوق والنبوغ في مجال بعينه من مجالات الموهبة، وأكثر احتكاكًا بالموارد الثقافية المتاحة داخل هذا الحقل بحسب تعبير بورديو، ففي المجال الرياضي يكون الطفل أكثر احتكاكًا بالملاعب، والأندية الرياضية، ويتعرف منذ وقت مبكر على القواعد المنظمة للألعاب الرياضية التي يمارسها الوالدان، وربما يستطيع حضور المنافسات الرياضية التي يخوضها الوالدان، أو أحد أفراد الأسرة الآخرين. أما في المجال الفني، فيكون الطفل أكثر ارتيادًا للمسارح والمعارض، وحضورًا

للحفلات الفنية التي يحضرها الوالدان أو يشاركان فيها، ويتعرف على شكل الآلات الموسيقية وطرق استخدامها. فقد ذكر أحد الموهوبين في مجال الإنشاد الديني أن بداية اهتمامه بالإنشاد الديني جاءت بعد مشاهدته لوالده -الذي يعمل منشدًا دينيًا- في إحدى الحفلات، ثم عاد الابن بعدها للمنزل ليقلد أباه الذي أكد على شعوره بالدهشة من حفظ الابن للمقاطع التي أنشدها الأب في الحفل. تتفق الرواية السابقة مع رواية إحدى الأمهات التي كانت تعمل هي وزوجها بإحدى مؤسسات رعاية الموهوبين في المجال الفني، والتي أكدت على أن عملهما بهذا المجال جاء بحكم تخصصهما الدراسي في مجال التربية الموسيقية. وتشير هذه السيدة إلى أن عملها وزوجها بالمجال الفني أسهم في خلق بيئة أسرية ملائمة لنمو مواهب ابنتيهما واكتشافهما منذ وقت مبكر من حياتهما.

" إحنا كلنا عيلة فنية، يعني أنا وجوزي من أسرة موسيقية، فعندنا الحس الفني والموهبة، فأنا كنت شغالة هنا في المؤسسة، وحاليًا باباها لسه شغال، كنا بنشتغل أنا وجوزي في مجال الكورال. لما جبت بناتي لقيت عندهم الحس الفني والجينات الفنية. فجبتهم الاتنين عملتلهم اختبارات في مركز تنمية المواهب هنا واتقبلوا وبدأو يتدربوا مع زملائهم".

إن توافر القدوة الأسرية لا يشترط في جميع الحالات وجود نموذج للموهبة داخل المحيط الأسري، لكن القدوة الأسرية قد تتوافر بمجرد وجود شخص في الأسرة يُشارك الطفل اهتماماته وميوله نفسها. فقد يحدث أن تكون هناك اهتمامات وميول شخصية من جانب أحد الوالدين لمجال من مجالات الموهبة، لكن هذه الاهتمامات والميول لم ترق إلى مستوى الممارسة في يوم من الأيام، أو إلى مستوى التفوق والنبوغ للأب أو الأم داخل هذا المجال. وفي هذه الحالة يُصبح شغف الوالدين بمجال محدد من مجالات الموهبة، أو اهتمام أحدهما أو كلاهما به دافعًا أساسيًا لاكتشاف ورعاية الأبناء في هذا المجال. ولعل هذه النتيجة تُفسر لنا سر الحرص الشديد للكثير من العائلات المصرية على إلحاق أبنائهم بمدارس

معينة، أو بنمط معين من التعليم كالتعليم الثانوي على حساب الفني، أو إلحاق الأبناء بإحدى الرياضات ذات الشعبية الكبيرة في مصر ككرة القدم أو اليد أو غيرها من الرياضات الجماعية. وهو ما حدث في حياة إحدى الموهوبات في رياضة تنس الطاولة، والتي أكدت على الدعم الكبير الذي حصلت عليه من والدها والذي امتد لعدة سنوات بالرغم من عمل الأب كمحاسب، وتواجده لفترات طويلة في عمله، وبرغم تأكيد هذا الأب على عدم ممارسته لأي شكل من أشكال الرياضة بشكل منتظم طيلة حياته، إلا أن ذلك لم يُثنِ من عزيمته على رعاية ابنته، وحضوره لجميع التدريبات الرياضية مع ابنته، واضطراره في أوقات كثيرة للسفر معها لحضور المسابقات الرياضية المختلفة. فحبه على -حد قوله- للرياضة بشكل عام، جعله حريصًا على اكتشاف أبنائه في هذا المجال. وتُشير هذه الفتاة إلى أن هذا الحرص من جانب والدها خلق لديها دافعًا قويًا لإثبات ذاتها وتفوقها تحقيقًا لأمنية والدها.

٢- آليات اكتشاف الموهبة داخل المحيط الأسري:

يُشير مصطلح الاكتشاف Identification هنا إلى مجموعة من الإجراءات التي يتم من خلالها تحديد الأطفال الذين يحتاجون إلى خدمات أو أنشطة توفرها في العادة برامج مخصصة لتطوير قدراتهم في مجالات الموهبة المختلفة. وتقع مسؤولية الاكتشاف المبكر لهؤلاء الأطفال على الوالدين والمدارس والمؤسسات الأخرى المعنية؛ لذلك تختلط فيها الجهود الرسمية بغير الرسمية من أجل تلبية الاحتياجات الاستثنائية لهؤلاء الأطفال. وتكشف الدراسة الميدانية عن وجود ثلاث آليات تتبعها الأسر المصرية في اكتشاف مواهب أبنائها، هي: الملاحظة، والترشيح، والاختبار أو القياس.

أ- الملاحظة:

تُعد الملاحظة Observation أولى محطات اكتشاف المواهب داخل المحيط الأسري، وهي تتضمن قيام أحد أفراد الأسرة -غالبًا ما يكون أحد الوالدين-

بملاحظة السلوكيات الاستثنائية التي يقوم بها الطفل، والتي تكون غير متوقعة من الطفل في هذه المرحلة العمرية. وتبدأ ملاحظة الوالدين لمواهب أبنائهم داخل الأسرة المصرية في سن من ٤-٧ سنوات، وبالتحديد خلال مرحلة رياض الأطفال، أو السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، وهي تُعد مرحلة متأخرة -إلى حد ما- مقارنة بنتائج بحوث أكدت على أن عمليات الاكتشاف لمواهب الأطفال قد تبدأ في بعض المجتمعات من سن العامين (Mollenkopf, et al., 2021: p.86). وتتسم عملية الملاحظة للمواهب بالتلقائية، حيث يلعب فيها عامل المصادفة الدور الأهم والأبرز في اكتشاف المواهب داخل الأسرة المصرية، فغالبًا ما يُلاحِظ الوالدان مواهب أبنائهم بشكل عفوي، وبدون ترتيبات مسبقة من جانبهم. وبالرغم من التلقائية التي تميز هذه العملية إلا أنها تُسهم في مساعدة الآباء والأمهات على تحديد قدرات الطفل، ومجال موهبته؛ ومن ثم التفكير في ثقل موهبته في هذا المجال لاحقًا. وتشكل المواهب الفنية كالغناء، والرسم، والإنشاد الديني، والعزف على الآلات الموسيقية الأكثر ملاحظة من جانب الوالدين، تليها المواهب العلمية؛ حيث تكون موهبة الطفل خفية عن الاكتشاف لحين بلوغه سن محدد، أو ممارسته لنشاط معين يُمكنه من إظهار تميزه أو تفوقه لوالديه. وفي الأسر التي تفوق فيها أحد الأبوين في مجال معين من مجالات الموهبة، أو كان لديهم اهتمامًا بهذا المجال، لعبت الملاحظة دورًا كبيرًا في اكتشاف مواهب الأبناء، حيث أكد بعض الأبناء المشاركين في الدراسة أنهم اتجهوا في مرحلة معينة من حياتهم لتقليد مواهب آبائهم؛ وبالتالي استطاعوا جذب انتباه آبائهم لمواهبهم. وتصف اثنتان من الأمهات كيفية ملاحظتهما لمواهب بناتهما بقولهما:

"أنا عندي بنتين توأم، جالهم مرة أورج صغير هدية في عيد ميلادهم، كانوا وقتها سبع سنين تقريبًا، فبدأوا يعزفوا عليه، وواحدة كانت بتعزف، والتانية كانت بتغني، فتفاجأت بصراحة، وكنت مبسوطة وفرحانة، وأقف أسمع منهم أغاني تانية، فبدأت أشوف هعمل أيه معاهم".

"بدأت أعرف بموهبة بنتي من وهي صغنتوته أووي، لاحظت إنها بتغني وأي حاجة بتسمعها بتلقطها، سمعتها كذا مرة بتدندن، وبتغني أغاني كبيرة عن سنها. وقبل ما أولدها كنت بلاحظ من وهي في بطني لما بتسمع الموسيقي بتقعد تتحرك، يعني ما كنتش أصدق الموضوع ده غير لما فعلًا جربته".

وتكشف المقابلات المتعمقة عن بروز واضح لدور الأمهات في استخدام هذه الآلية للكشف عن مواهب أبنائهن لكونهن الأكثر اتصالًا وقربًا من الأبناء في المراحل العمرية المبكرة، والأكثر قدرة على معرفة اهتمامات أبنائهن وتطلعاتهم وميولهم منذ سن مبكرة. وغالبًا ما يقوم الوالدان بتشجيع الأطفال على الاستمرار في ممارسة هذه السلوكيات بأساليب وطرق مختلفة، كأن يقوم الوالدان بشراء الأدوات اللازمة للطفل كما في حالة العزف على الآلات الموسيقية أو الرسم، أو يقوم الوالدان بمساعدة الطفل على الاستمرار من خلال إعطائه بعض التوجيهات والنصائح التحفيزية.

"هو أنا زمان وأنا صغير كنت بقعد ألعب كده على الجيتار وبقعد أمسكه كتير، الفكرة إن أنا كنت بحب الآلة نفسها، فماما هي اللي لاحظتني فجابتلي واحد وقالتلي اتعلم عليه".

" أنا من صغري كنت بحب الرسم، وفضلت ارسم من صغري لغاية ما ماما وأنا في كي جي لاحظت إن أنا رسمي حلو شوية، فبدأت تهتم بيا، وتجيب لي ماتريال رسم، وتجيب لي اسكتشات وألوان، وتخليني أقعد ارسم".

ب- الترشيح:

يُشير مصطلح الترشيح Nomination في هذا السياق إلى قيام أحد الوالدين أو كلاهما أو أحد أفراد الأسرة الآخرين بتزكية أحد الأطفال لإلحاقه بأحد برامج رعاية الموهوبين، أو التوصية بإخضاعه للاختبارات التي تحُدد مدى أهليته للالتحاق بهذه البرامج. وتمُثل عملية الترشيح الآلية الثانية التي تلجأ إليها الأسر

المصرية لاكتشاف أبنائها، وهي تعقب الملاحظة -على النحو المشار إليه أعلاه- لكنه لا يشترط بالضرورة الترتيب التتابعي لهاتين العمليتين. ففي بعض الأحيان لا يستند ترشيح الوالدين لأحد الأطفال إلى ملاحظات مسبقة من جانبهم لبعض خصائص الموهبة الموجودة في الطفل، وإنما يكون نابعًا من ميول ذاتية لدى الوالدين في اكتشاف مواهب الأبناء داخل مجال بعينه، وفي هذه الحالة تصبح عملية الترشيح الخطوة الأولى في طريق اكتشاف المواهب. وتكشف الروايات التي ذكرها أولياء الأمور عن نقص واضح في المعرفة بالجهات والبرامج المخصصة التي يمكنهم ترشيح أبنائهم لها. وفي هذه الحالات تُشكل المدرسة أولى الجهات التي يفكر فيها أولياء الأمور، خاصة إذا ما كانت المدرسة تستطيع احتضان هذه الموهبة وتنميتها، وتتوافر بها الأدوات المساعدة على ثقل الموهبة. وقد لوحظ من خلال الروايات التي ذكرها أولياء الأمور أن ترشيح الأطفال لمعلميهم في المدارس غالبًا ما يكون وديًا، وبدون إجراءات رسمية، وتهدف بشكل أساسي لمجرد لفت انتباه المعلم لموهبة الطفل، ومنحها قدرًا أكبر من الاهتمام، كما أن عملية الترشيح للمدرسة تعتمد بشكل كبير على طبيعة علاقة ولي الأمر بالمعلمين في المدرسة التي يلتحق بها الطفل. وبخلاف المدارس، فقد أكد غالبية أولياء الأمور المشاركين في الدراسة على أنهم لم يَكُن لديهم معرفة بأسماء الجهات التي يمكنهم ترشيح أبنائهم لها، وأنهم عرفوا هذه الجهات إما بالمصادفة أو عن طريق الأقارب أو زملاء العمل، أو الجيران، أو من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. وتصف إحدى الأمهات تجربتها في ترشيح ابنتيها لدار الأوبرا المصرية، بقولها:

"لما اكتشفت إن البنات نفسهم يغنوا، وإن صوتهم حلو فمكنتش عارفة بصراحة مكان أروح له. بعض الأصدقاء قالوا لي على دار الأوبرا بتتبني المواهب، فبالفعل روحت، وكانت واحدة فيهم عندها رغبة تعزف بيانو أو أورج، والبنت التانية كانت عايزة تغني".

وبشكل عام، تُشكل برامج رعاية الموهوبين التي تنفذها بعض الوزارات والجهات الحكومية كوزارات الثقافة، والتربية والتعليم، والشباب والرياضية، والأندية الرياضية، ومراكز الشباب الواجهة الأكثر استقطابًا لترشيحات أولياء الأمور في مصر، يلي ذلك بعض برامج رعاية الموهوبين التي تُنفذها بعض مؤسسات المجتمع المدني، والتي تُركز بشكل أساسي على رعاية المواهب الأكاديمية من خلال توفير منح دراسية بالجامعات والمعاهد المختلفة. وتكشف المقابلات المتعمقة عن أن بعض ترشيحات أولياء الأمور لأبنائهم تكون ترشيحات أولية لا تتضمن تحديدًا دقيقًا لموهبة بعينها، لكنها تعكس -في الوقت ذاته- رغبات ذاتية للوالدين في اكتشاف مواهب أبنائهم داخل مجالات بعينها من مجالات الموهبة، ويغلب على هذه الترشيحات الطابع التوجيهي للطفل لاستثمار وقت فراغه في أنشطة مفيدة في المراحل السنية المبكرة، خاصة خلال فترة العطلات الصيفية، حيث تميل الكثير من الأسر المصرية للاشتراك لأبنائها في بعض الأنشطة المختلفة أملًا في خلق اهتمامات مبكرة لدى الطفل بهذا المجال في المستقبل. ويظهر هذا النمط من الترشيحات بوضوح في المجال الرياضي، حيث تقوم بعض الأسر المصرية بالاشتراك لأبنائها في أحد الأندية الرياضية لممارسة إحدى الرياضات، وتسعى لصقل مواهبهم بالتدريبات التي تحتاج إليها كل رياضة بعينها. وقد يتضمن هذا الأسلوب للاكتشاف في المجال الرياضي محاولات من بعض الأسر لتنقل الأطفال بين رياضات مختلفة في السنوات الأولى، وممارسة أكثر من رياضة في البداية في محاولة لاكتشاف أفضل الرياضات المناسبة للطفل. وقد عبر أحد الموهوبين عن دور أسرته في توجيهه للمجال الرياضي بقوله.

" الحقيقة إحنا كنا بنروح النادي كل صيف نلعب شويه. أنا دايمًا أهلي بيروحوا الصيف بيقدموا لأولادهم في مدارس السباحة، كرة قدم للأولاد، ممكن جمباز للبنات. وكانت مامتى حريصة إن إحنا نتعلم السباحة كانت حاسة إنها حاجة مهمة نتعلمها، ممكن لما نكبر تفيدنا، وكنا ساعات بنجرب حاجات تانية، يعنى جربنا السباحة، والكاراتيه بس مكناش حبين نروح نتمرن، وأخيرًا جربت التنس" .

ج- الاختبار/ القياس:

تُشكل هذه العملية المرحلة الأخيرة من مراحل اكتشاف الموهبة، وهي تعقب عملية الترشيح، وفيها يتم إخضاع الموهوب لمقاييس واختبارات مُعدة سلفًا تحدد مدى كفاءته وأحقيته في الالتحاق ببرامج الرعاية المخصصة. وفي أحيان كثيرة يكون الاختبار بعد خضوع الموهوب لبرنامج تأهيلي أو تدريبي محدد لفترة زمنية معينة، وبتوصية من جانب أحد الخبراء أو المتخصصين بخضوع الطفل للاختبارات، على أن تتكفل الاختبارات والمسابقات المختلفة بالحكم على مدى أهلية الموهوب في الاستمرار في البرنامج من عدمه. وتختلط في هذه المرحلة الجهود الأسرية بالجهود المؤسسية، فغالبية الموهوبين الذين خضعوا للاختبار أو القياس جاءوا بناء على ترشيحات سابقة من والديهم، ويقوم أولياء الأمور باصطحاب الأبناء لأماكن الاختبارات، والتواجد معهم أثناء حضور المسابقات المختلفة، وتقديم الدعم المادي والمعنوي اللازم لهم أثناء هذه المرحلة من الاكتشاف. وعلى الجانب الآخر، تتولى الجهات المعنية تحديد مستوى الموهبة التي يتمتع بها الطفل.

وتكشف الروايات التي شاركها أولياء الأمور حول أساليب اختبار مواهب أبنائهم عن شيوع ثلاثة أساليب في الاختبار والقياس، يستند الأول منهم إلى تقييمات المسؤولين في مؤسسات رعاية المواهب كالمدربين، أو الخبراء، أو المتخصصين في كل مجال، حيث يقوم أولياء الأمور بعرض أبنائهم الموهوبين على هؤلاء الخبراء، ويتولى الخبراء تقييم مستوى الموهبة لدى الموهوب والحكم عليها، وغالبًا ما يشارك في عملية التقييم أكثر من شخص متخصص أو خبير، وتتضمن إعطاء الموهوب درجة معينة تحكم على مستوى الموهبة عند الطفل، ويعد هذا الأسلوب في الاختبار والقياس أكثر وضوحًا في المجال الفني وبالتحديد في مجال الغناء، والإنشاد الديني، والعزف على الآلات الموسيقية. أما الأسلوب الثاني من أساليب الاختبار، فيتمثل في مشاركة المبحوث في المسابقات

والمهرجانات المختلفة، حيث تتضمن كل مسابقة أو مهرجان قواعد وإجراءات محددة للفوز والتأهيل إلى المستويات المتقدمة. ويعد هذا الأسلوب أكثر انتشارًا في المجال الرياضي، خاصة في مجال الألعاب الفردية، حيث تشكل قدرة الموهوب على خوض المنافسات والمسابقات الرياضية المختلفة الوسيلة الأكثر قدرة للحكم على جدارته. أما الأسلوب الثالث من أساليب الاختبار والقياس فهو الأسلوب الذي يعتمد على الاختبارات العلمية التي تقيس مستوى ذكاء الفرد ونبوغه، وقدرته على التحليل، وربط النتائج بالمسببات وغيرها، وهو أكثر استخدامًا في المجال الأكاديمي، وأحيانًا ما تكون الدرجات التي حصل عليها الطالب في مرحلة تعليمية معينة (كالمرحلة الإعدادية أو الثانوية) معيارًا للحكم على أحقيته في الالتحاق ببرامج معينة لرعاية الموهوبين، وفي أحيان أخرى يُشترط إلى جانب هذه الدرجات خضوع الطالب لاختبارات أخرى تكميلية. وفي جميع الأحوال لوحظ وجود حضور عائلي قوي لأولياء الأمور المشاركين في الدراسة أثناء مرور الأبناء بهذه الاختبارات، يبدأ بتأهيل الأبناء لحضور مثل هذه الاختبارات، ويعقبه تشجيع ودعم نفسي ومعنوي في حالات الاجتياز أو الإخفاق، وتغطية للنفقات المادية التي تتطلبها بعض الاختبارات.

٣- الدعم الأسري الموجه للموهبة:

يتوقف نجاح عملية رعاية الموهوبين والنوابغ في أي مجتمع من المجتمعات على مقدار الدعم المقدم لهؤلاء الموهوبين وصوره. وبرغم تنوع المصادر التي من الممكن أن يحصل من خلالها الموهوبون على الدعم والمساندة كالأسرة، والمدرسة، ومؤسسات الرعاية المعنية الحكومية أو الأهلية، إلا أن الأسرة تظل واحدة من أهم مصادر الدعم المقدم لجماعات الموهوبين؛ ذلك لأن الدعم الأسري ليس مشروطًا بضوابط مؤسسية، وقد يشمل صورًا مختلفة، ويمكن للموهوب أن يستفيد منه خلال مراحل مختلفة من حياته (Witte, 2015). وتكشف الدراسة الميدانية عن وجود تنوع في صور الدعم والمساندة التي تقدمها الأسر المشاركة في الدراسة لأبنائها الموهوبين لتشمل الدعم المادي، والمعنوي، والنفسي،

والاجتماعي، وغيرها. ويُعد الدعم المادي أحد أهم أشكال الدعم التي تقدمها الأسر المشاركة في الدراسة لأبنائها في المراحل العمرية المختلفة، وتتضح أهمية هذا النوع من الدعم في الحالات التي يكون فيها الحصول على دعم مادي من مؤسسات خارجية محدودًا، وفي مجالات الموهبة التي تحتاج إلى نفقات عالية لتدريب الموهوبين ورعايتهم. فقد ذكر جميع الموهوبين في المجال الرياضي بأن الدعم المادي الذي حصلوا عليه من أسرهم خلال فترات معينة من حياتهم كان حاسمًا في استمراريتهم في هذا المجال؛ خاصة في ظل ارتفاع تكلفة التدريب بالأكاديميات الرياضية الخاصة أو لدى مدربين بعينهم، وفي ظل ارتفاع أسعار الملابس الرياضية التي يحتاجون إليها باستمرار، وارتفاع نفقات الانتقال من أماكن التدريب وإليها، ونفقات الاشتراك في المسابقات المختلفة، والنفقات التي تحتاجها البرامج الغذائية المخصصة لهم، وغيرها. ويتولى الآباء في الأسر ذات النمط الذكوري في الإعالة مسؤولية تقديم هذا النوع من الدعم بشكل أكبر من الأمهات، حيث يكون الأب مسؤولًا مسؤولية كاملة عن تغطية النفقات المطلوبة لتدريب الأبناء ورعايتهم، وهي تُعد جزءًا من مسؤولياته المادية تجاه أسرته وأبنائه. وفي الحالات التي تعمل فيها الأم بأجر خارج الأسرة، لوحظ وجود تقاسم للأعباء المادية لرعاية الموهوبين بين الآباء والأمهات عند بعض هذه الأسر، وبالرغم من ذلك تظل مسؤولية تغطية النفقات المادية لرعاية الموهوبين في غالبية الأسر المشاركة في الدراسة مسؤولية الآباء الأساسية. وقد أشارت إلى ذلك إحدى الموهوبات بقولها:

"إحنا كأي بيت مصري، بابا كان مشغول بشغله والفلوس والحاجات دي، وماما هي اللي كانت بتودي وبتجيب من التمرين. فأنا يعتبر وصلت بفلوس بابا ومجهود ماما. فبابا هو اللي كان بيصرف دايما مكانش فيه دعم مادي الحقيقة من أي جهة".

ومن صور الدعم الأخرى التي ذكرها المشاركون المساندة الاجتماعية

والنفسية للموهوبين، ويتجلى هذا الشكل من الدعم في عدة صور متنوعة كاصطحاب الأبناء لمؤسسات الرعاية، والتواجد مع الأبناء خلال فترة تلقيهم للتدريبات أو مشاركتهم في مسابقات أو بطولات أو غيرها، والمتابعة المستمرة للأبناء لمعرفة مستوى التقدم الذي حققوه في مجال الموهبة، والبحث للأبناء عن أفضل مؤسسات للرعاية، والمؤازرة النفسية للأبناء في حالة مشاركتهم في بطولات أو مسابقات معينة. وقد يحدث أن يقوم الوالدان بالتناوب في تقديم أشكال مختلفة من الدعم للأبناء، كأن يكون الأب مختصًا بتقديم أشكال معينة من الدعم والمساندة، وتختص الأم بتقديم أشكال أخرى من الدعم في مجال آخر كالدراسة أو غيرها. وقد ذكرت إحدى الموهوبات أشكال الدعم المختلفة التي كانت تحصل عليها من والديها بقولها:

"الحقيقة هما الاتنين كانوا بيدعموا بطرق مختلفة، والدي كان بيوصلني دايمًا، وبيسافر معايا الماتشات، ووالدتي بردوا كانت بتنظملي أكلي، وبتساعدني في حاجات كتيرة في المدرسة علشان أقدر أوازن بين المدرسة والتدريب فكان كل واحد له دور بس والدتي كانت صارمه أكتر في المدرسة، ووالدي كان صارم أكتر في الرياضة، وأنا كنت في النص"

ويتحدد شكل الدعم المقدم من جانب الأسرة باثنين من المحددات الرئيسة، أولها المرحلة العمرية للموهوب وهي التي تحدد طبيعة الاحتياجات والمتطلبات التي يحتاج إليها الموهوب. ففي مرحلة الطفولة المبكرة، يحتاج الموهوب بشكل أكبر لكافة صور الدعم الممكنة من جانب الأسرة، خاصة وأن الموهوب خلال هذه المرحلة العمرية يكون أكثر اعتمادًا على والديه، وأكثر احتياجًا لهم في تلبية كافة متطلبات التفوق والنبوغ. ويمكن القول بأن الدعم الذي يقدمه الوالدان خلال هذه المرحلة العمرية المبكرة من حياة الطفل يُعد ضروريًا إن لم يكن حاسمًا لاكتشاف الموهبة ورعايتها؛ ومن ثم استمرارية الموهوب في مجال تفوقه أو نبوغه. ومع تقدم الموهوب في السن، يستطيع الموهوبون -خاصة الذكور-

الاعتماد على أنفسهم بشكل أكبر في تحقيق بعض متطلبات الرعاية الأساسية، كأن يُصبحوا قادرين على الذهاب لأماكن التدريب والعودة منها؛ وبالتالي عدم احتياجهم لمرافقة أحد أفراد أسرتهم. أما المحدد الثاني من محددات الدعم المقدم للموهوبين من أسرهم فيتمثل في درجة اهتمام أحد الوالدين أو كلاهما بالمجال الذي يستطيع الأبناء التفوق فيه. فكلما كان لدى الوالدين أو أحدهما اهتمامات مسبقة بهذا المجال، كانوا أكثر دعمًا ومساندة للأبناء، ويكون دعمهما للأبناء في هذا المجال غير مشروط، كما يُصبح تفوق الأبناء ونبوغهم في هذا المجال بمثابة إشباع نفسي للوالدين لما عجزا عن تحقيقه في مرحلة ما من حياتهم. وعلى العكس من ذلك، إذا لم يكن للوالدين أي اهتمامات بمجال تفوق ونبوغ الطفل، يصبح في هذه الحالة الدعم المقدم من الوالدين محدودًا، ومتوقفًا على قدرة الطفل على التعبير عن احتياجاته وتطلعاته لأسرته. وقد يلجأ الطفل في هذه الحالة لطلب المساعدة والدعم من أشخاص من خارج أسرته، كالمعلمين في المدارس، أو زملاء الدراسة، وغيرهم. ففي المجالين الفني والرياضي ذكر خمسة من أولياء الأمور المشاركين في الدراسة -ممن كان لديهم اهتمامات مسبقة بهذين المجالين- صورًا مختلفة من الدعم المقدم لأبنائهم بدأت بمجرد ملاحظتهم لامتلاك أبنائهم لمواهب فنية ورياضية مختلفة عن أقرانهم، وانعكست في حرصهم على البحث عن أماكن مناسبة لرعاية أبنائهم، والتواجد معهم خلال فترات التدريب التي امتدت لسنوات، وحرصهم أيضًا على عرض الأبناء على خبراء ومتخصصين في المجال لإشراكهم في المسابقات الفنية والرياضية المختلفة التي تُعقد داخل مصر وخارجها. وعلى العكس من ذلك، كشف أربعة من الموهوبين عن غياب واضح للدعم الأسري المقدم إليهم، وعللوا ذلك بعدم اكتراث والديهم بمواهبهم، أو اهتمامهم بها.

٤- الدعم الحكومي والأهلي لدور الأسرة:

يُشير مصطلح الدعم الحكومي والأهلي في هذا السياق لكافة صور المساندة

المادية أو التأهيل النفسي والاجتماعي والفكري والثقافي التي يتلقاها أفراد أسر الأطفال الموهوبين، مع التركيز بشكل أكبر على الدعم الموجه للوالدين من أجل تأهيلهما أو دعمهما للتعامل مع الأبناء الموهوبين داخل الأسرة. وتكشف التجارب الدولية في المجتمعات الغربية عن وجود اهتمام ملحوظ من جانب مؤسسات رعاية الموهوبين في الغرب بأسر الموهوبين، وتخصيص برامج بعينها لدعم وتأهيل أفراد الأسر التي لديها أبناء موهوبين كي تصبح الأسرة شريكًا ناجحًا في دعم الموهبة، وأكثر قدرة على تلبية الاحتياجات العاطفية والنفسية والاجتماعية لأبنائها الموهوبين، ورعايتهم على نحو أفضل. وتأتي هذه البرامج المخصصة للأسر إيمانًا من تلك المؤسسات بأن الكثير من الأسر لا تُقدر الموهبة، وتجهل الكثير من الحقائق حولها؛ لذلك فإن تأهيلهم يُعد أمرًا ضروريًا في سبيل دعم المواهب وتنميتها. وترجع أهمية البرامج المخصصة للأسر إلى كونها تُعد برامج مكملة للبرامج التي تنفذها هذه المؤسسات لدعم الموهوبين أنفسهم؛ وبالتالي فهي لا تقل في أهميتها عن أهمية البرامج المخصصة لهؤلاء الموهوبين. وتكشف المقابلات المتعمقة التي أُجريت مع الموهوبين وأولياء أمورهم عن محدودية البرامج أو الأنشطة المنفذة لدعم أسر الموهوبين، بحيث يمكن القول بأن جُل الدعم المقدم من جانب المؤسسات الداعمة لأسر الموهوبين المشاركين في الدراسة موجه بشكل أساسي للموهوبين أنفسهم، مع وجود احتمالية لاستفادة بعض الأسر -بشكل غير مباشر- من هذا الدعم خاصة عندما يكون الدعم ماديًا، أو يأخذ شكل التوعية الموجهة لأولياء أمور الموهوبين بحيث يصبحون أكثر قدرة على التعامل الصحيح مع الموهوبين داخل المنزل. كما لوحظ غياب واضح للدعم المقدم من المؤسسات الأهلية لأسر الموهوبين مقارنة بالمحاولات التي تقوم بها بعض المؤسسات الحكومية للاهتمام بأسر الموهوبين، وإدراج أولياء الأمور ضمن الفئات التي تستهدفها تلك المؤسسات.

وتُعد الجوائز المالية التي يحصل عليها الموهوبون من خلال مشاركتهم في المسابقات المختلفة الشكل الأكثر شيوعًا للدعم المادي الذي يحصل عليه

الموهوبون المشاركين في الدراسة من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية الداعمة للمواهب في مصر. وتكشف الروايات التي ذكرها الموهوبون والمسؤولون بالمؤسسات عن استفادة أفراد الأسرة خاصة الوالدين من القيم المادية للجوائز التي يحصل عليها هؤلاء الموهوبون. فقد ذكر أحد الموهوبين بالمجال الفني أن قيمة الجائزة التي حصل عليها، والبالغ قيمتها ٤٠ ألف جنيه؛ أسهمت في إجراء عمليتين جراحيتين لوالديه. وقد أكد على ذلك أحد المسؤولين بدار الأوبرا المصرية الذي أشار إلى أن قيمة الجوائز المالية التي يحصل عليها الموهوبون من مشاركتهم في المسابقات المختلفة تعد شكلًا من أشكال الدعم الموجه للأسرة ككل وليس للموهوبين فقط، حيث يمكن للأسرة أن تسد جانبًا من نفقات الموهوب في التعليم، أو في مجال رعاية موهبته بشكل عام من خلال هذه الجوائز. وفي بعض الحالات تتجه بعض الأسر للاستفادة من قيمة الجوائز المقدمة لأبنائها في تحسين نوعية التعليم المقدم لأبنائها، حيث ينتشر في مصر نوعان من التعليم، تعليم حكومي ذو كثافة طلابية عالية خاصة في المحافظات الحضرية الكبرى، وجودة أقل، وتعليم خاص ذو كثافة طلابية أقل، وجودة أفضل نسبيًا من المدارس الأخرى، لذلك ذكر بعض أولياء الأمور أن الجوائز التي حصلوا عليها ساعدتهم في إلحاق أبنائهم بالمدارس الخاصة. ومن صور الدعم المؤسسي لأسر الموهوبين في مصر السماح لأولياء أمور الموهوبين بحضور الفعاليات والمناسبات التي تُعقد لتكريم ذويهم، حيث تحرص بعض الوزارات كوزارة الشباب والرياضة، وبعض الجهات الحكومية كدار الأوبرا المصرية على حضور أولياء أمور الموهوبين الاحتفالات التي تُعقد لتكريم الموهوبين مجانًا بدون تحمل أي نفقات. وينظر بعض أولياء الأمور إلى هذه الحفلات باعتبارها نوعًا من الدعم والتكريم الموجه لهم ولأبنائهم.

أما الشكل الثالث من أشكال الدعم المؤسسي لأسر الموهوبين، فيتمثل في بعض أشكال التوعية التي تقدمها بعض الجهات الحكومية لأولياء أمور الموهوبين دون وجود أي صور لهذا الشكل من الدعم مقدم من مؤسسات أهلية. وتحدث

عملية التوعية من خلال ورش عمل أو تدريبات تعقدها هذه الجهات وتضم الموهوبين وأولياء الأمور، والمعلمين في المدارس. وتسعى هذه الورش لتزويد أولياء الأمور ببعض المعلومات الأساسية حول المواهب، وكيفية اكتشافها، وطرق رعايتها، والأخطاء الشائعة في تنشئة الموهوبين والتعامل معهم، والأضرار المترتبة على التقصير في رعاية الموهبة أو إهمالها، وتوضيح السمات السلوكية التي تميز الأطفال الموهوبين عن باقي أقرانهم العاديين ممن هم في الفئة العمرية نفسها وليسوا بموهوبين. ومحاولة تغيير بعض الأفكار والمعتقدات السلبية الراسخة عند بعض أولياء الأمور حول بعض أشكال الموهبة، حيث يسود اعتقاد عند بعض الأسر المصرية أن هناك مواهب لا فائدة منها، وأن تخصيص جزء من وقت الطفل لتنميتها يعد مضيعة للوقت لا طائل من ورائها، وأن على الطفل أن يخصص كل وقته في سنوات العمر الأولى لاستذكار الدروس والتفوق في مجال الدراسة فقط. ويُشير أحد المسؤولين الحكوميين بأحد مراكز رعاية الموهوبين لمبررات تحول المركز لإدراج أولياء الأمور والمعلمين ضمن الفئات التي يستهدفها المركز في الدعم بقوله:

"إحنا اكتشفنا أن الموهبة أساسها وبدايتها من البيت، فبدأنا نركز في الورش على ولي الأمر لأنه لو مش عارف أن ابنه موهوب هيتعامل مع ابنه على إنه بيضيع وقته، فبنجيب أولياء الأمور نعرفهم إن الموهبة عمله نادرة لازم يحافظوا عليها؛ لأن الأب لو تعامل مع الطفل بشكل خاطئ زعقله أو أحبطه بتحصل حاجة عند الولد علميًا اسمها انطفاء الموهبة ذي الشمعة وهي منوره كده نيجي نطفيها".

٥- التحديات التي تواجه الأسرة والموهوبين وأساليب التغلب عليها:

تواجه الأسرة وكذلك الموهوبون مجموعة من التحديات والصعوبات التي تبدأ منذ اكتشاف الموهبة وتمتد خلال سنوات الرعاية. بعض هذه الصعوبات يرتبط بطبيعة السياق الاجتماعي والثقافي في مصر، وبعضها الآخر يرتبط بجوانب أسرية. ويمكن القول بأن الصعوبات التي يواجهها الموهوب تنعكس

بالضرورة على الأسرة وعلى دورها في تحقيق الرعاية الكاملة لهذا الموهوب، كما أن التحديات والصعوبات التي تواجهها الأسرة تؤثر على قدرتها على رعاية أبنائها الموهوبين؛ ولذلك فإنه يصعُب الفصل في بعض الأوقات بين الصعوبات التي تواجه الأسرة والأخرى التي تواجه الموهوب، فكلا النوعين من الصعوبات يتداخل مع بعضه البعض ليُشكل معوقًا رئيسا يواجه الأسرة في أدائها لأدوارها الرعائية للموهوبين من أبنائها. ويتضح من التحليل وجود صعوبات وتحديات تكاد تكون مشتركة بين جميع مجالات الموهوبة، بينما هناك بعض الصعوبات والتحديات التي تكون أكثر بروزًا داخل مجالات بعينها دون غيرها من مجالات الموهبة الأخرى.

وتُعد الصعوبات المادية التي تواجهها الأسرة في رعاية أبنائها الموهوبين والنابغين من الصعوبات المشتركة بين غالبية الموهوبين، حيث تجعل الصعوبات المادية من عملية الرعاية عبئًا ثقيلًا على كاهل الأسرة ككل. فقد تعجز الأسرة عن تغطية نفقات الرعاية؛ مما يؤدي إلى عدم قدرة هؤلاء الموهوبين على تحقيق كافة متطلبات التفوق والنبوغ، أو توقف الموهوب عند مستوى معين من الإنجاز دون القدرة على تجاوزه. ففي المجال الرياضي يحتاج الموهوبون لملابس رياضية، وتدريب على أيدي أشخاص متخصصين، والخضوع لإشراف خبراء في مجال كمال الأجسام، واللياقة البدنية، والتغذية السليمة، ونفقات للمشاركة في البطولات والمسابقات المحلية والدولية. وجميع هذه المتطلبات تكون بنفقات عالية غالبًا ما تتحملها الأسرة بمفردها، خاصة في المراحل العمرية المبكرة من حياة الموهوب، وحتى في الحالات التي يكون فيها الموهوب مقيدًا بأحد الأندية الرياضية، فإنه وفقًا للروايات التي ذكرها المشاركون في الدراسة فإن ما يحصلون عليه من الأندية الرياضية لا يكفي لسد الحد الأدنى من متطلبات صقل الموهبة ورعايتها.

"أكيد الأمور المادية ماكنتش سهلة. أنا للأمانة كنت بتمرن برايفت، ومع الوقت الواحد لما كبر بقا بيتعلم بنفسه حاجات، ويقلل من البرايفت على قد ما

يقدر. ولو هنتكلم عن المشاركة في البطولات الدولية دي تكلفة المشاركة فيها عالية جدًا بطولة زي بطولة أفريقيا لو هطلعها على حسابي ده موضوع مش سهل ١٠٠ ألف أو ١٥٠ ألف جنيه مش حاجة سهلة يعني".

ويُعد مجال الاختراعات العلمية واحدًا أيضًا من المجالات التي يحتاج فيها الموهوبون لدعم مادي كبير، وقد تعجز الأسر عن تغطية جميع نفقاته، خاصة في ظل احتياج الموهوبين لخامات وأدوات متقدمة ومتطورة. وهو ما حدث مع غالبية الموهوبين في المجال العلمي للمشاركين في هذه الدراسة. فقد أكد أحد هؤلاء الموهوبين على أنه كان لديه أفكار متطورة في مجال توظيف الطاقة الشمسية واستغلالها في إنتاج الكهرباء، وأنه تقدم بتصور مقترح لأحد المسؤولين الحكوميين، لكنه لم يحصل على الدعم الكافي لتنفيذ أفكاره. ويؤكد هذا الموهوب إلى أنه دائمًا ما كان يستخدم قيمة الجوائز المالية التي كان يحصل عليها من مشاركاته في المسابقات والمؤتمرات المختلفة في تغطية نفقات مشروعاته، وفي تنفيذ مقترحاته واختراعاته العلمية، مع وجود محاولات محدودة من جانب أسرته لتغطية بعض هذه النفقات.

وتؤكد على الرواية السابقة رواية إحدى الموهوبات في المجال العلمي ووالدتها التي كانت تتكفل برعايتها، حيث أكدت الأم على أن نفقات تعليم ابنتها في إحدى مدارس رعاية الموهوبين والمتفوقين في مجال العلوم والتكنولوجيا كانت عالية، حيث كانت الأسرة تتحمل نفقات إقامة الطالبة بجوار المدرسة، ونفقات ذهابها وعودتها إلى مقر إقامة الأسرة. وبرغم توافر معامل مجهزة بالمدرسة لمساعدة الطلاب على الدراسة العملية والتطبيق العملي لمخترعاتهم وابتكاراتهم في مجال العلوم والتكنولوجيا، إلا أن الأسرة كانت تتكفل أيضًا بتحمل نفقات شراء المواد الخام التي تحتاج إليها الفتاة عند تنفيذ مشروعاتها.

وإلى جانب الصعوبات المادية، يواجه الموهوبون صعوبات أخرى في التوفيق بين متطلبات الحياة الاجتماعية المختلفة من تعليم، والتزامات أسرية،

وبين متطلبات التفوق والنبوغ. ويشعُر بوطأة هذه الصعوبات بشكل أكبر الموهوبون في المجالات الفنية والرياضية؛ ففي مجال الدراسة تتضح شدة التعارض بين متطلبات الدراسة ومتطلبات صقل الموهبة في حالة الامتحانات المدرسية، حيث يقع على الأسرة مسؤولية مساعدة الأبناء على استذكار الدروس استعدادًا للامتحانات، ومساعدتهم أيضًا على حضور التدريبات أو المسابقات، وغيرها. وفي المجال الأسري، يظهر التعارض في حالة المناسبات والاحتفالات الأسرية التي كان يتوقع من هؤلاء الأبناء حضورها، لكن الجداول الزمنية المخصصة للتدريبات أو المسابقات لا تراعي مثل هذه المناسبات الأسرية والعائلية. وقد عبرت إحدى الموهوبات في المجال الرياضي عن هذا التعارض الشديد بقولها:

"تحقيق التوازن بين الرياضة والدراسة والالتزامات العائلية في مصر موضوع صعب جدًا. فأنا دايمًا عندي جدول رياضي مالهوش علاقة بأعياد، أو برمضان، أو بمناسبات عائلية، أو بامتحانات. جدولك هو الماتشات فاحنا عادى نبقى أول يوم العيد عندي تمرين، أو أكون مسافرة معسكر ماحضرش العيد مع أهلي".

وتكشف الروايات التي شاركها الموهوبون وأولياء أمورهم عن لجوء أولياء الأمور لعدة حيل تُمكنهم من استغلال أوقات أبنائهم الاستغلال الأمثل قدر الإمكان، وبما يُمكنهم أيضًا من تحقيق قدر ما من التوازن بين متطلبات الموهبة من جانب، ومتطلبات الحياة الاجتماعية من جانب آخر. ففي أثناء الدراسة، تتوقف قدرة الأسرة على مساعدة الأبناء على طبيعة الدعم الذي تقدمه المؤسسات التعليمية للموهوبين بشكل عام، وعلى مقدار تفهم تلك المؤسسات للظروف والطبيعة الاستثنائية لهؤلاء الموهوبين. ولذلك، فقد يلجأ أولياء الأمور للتقدم بالتماسات لإدارات المدارس لتعديل مواعيد بعض الالتزامات المدرسية المطلوبة من الأبناء كالامتحانات الشفهية، أو الواجبات المدرسية بما يتناسب مع المواعيد الزمنية

المقررة لمشاركة الأبناء في التدريبات، أو الاحتفالات، أو المسابقات، أو البطولات المختلفة. كما يحاول بعض أولياء الأمور إعادة جدولة أوقات فراغ أبنائهم على نحو أفضل، واستغلال أوقات الانتظار لحضور التدريبات في كتابة الواجبات المدرسية أو استذكار الدروس. وقد وصفت إحدى الأمهات ذلك بقولها:

"طبعًا كان مجهود شاق جدًا على البنات لأن احنا في أوقات كتير كان بيبقى فيه امتحانات عملية في نفس توقيت الحفلات اللي عليهم، كنت بخليهم يذاكروا في العربية في أوقات الراحة اللي كنا بناخدها في الأوبرا، وكنت ساعات بخليهم يذاكروا بردو في الكوريدور بره في القاعة اللي فيها التدريب".

ومن الصعوبات الأخرى التي تواجه الأسر والموهوبين مشكلة التمييز، ويتخذ التمييز شكلين مختلفين إما التمييز على أساس الجنس بين الذكور والإناث، وتعاني الفتيات الموهوبات من هذا الشكل من التمييز بدرجة أكبر من الذكور، حيث يسُود اعتقاد لدى بعض المؤسسات الراعية للموهوبين أن الاستثمار في المواهب الذكورية يكون أكثر نفعًا وفائدة من الاستثمار في المواهب النسائية، ويرجع ذلك من وجهة نظر المسؤولين في هذه المؤسسات إلى أن النساء بعد سن معين غالبًا ما يتجهن للزواج وإنجاب الأطفال ورعايتهم، وقد تجد المرأة صعوبة في التوفيق بين متطلبات رعاية الموهبة من جانب وبين التزاماتها الأسرية من جانب آخر؛ وبالتالي فقد تلجأ الفتاة بعد سنوات من التدريب والاستثمار في قدراتها ومهاراتها المختلفة إلى التوقف عن ممارسة هوايتها لصالح الوفاء بالتزاماتها العائلية. كما يسود اعتقاد عند بعض هؤلاء المسؤولين بأن المرأة قد تُجبر بعد الزواج من زوجها على التوقف عن ممارسة أي أنشطة سواء كانت رياضية أو فنية أو أدبية، وهو ما يجعل هذه المؤسسات أكثر ميلًا للاستثمار في المواهب الذكورية بدرجة أكبر من الاستثمار في المواهب النسائية. ويظهر هذا النمط من التمييز بوضوح داخل المجال الرياضي، وبالتحديد داخل مجال الألعاب الفردية، وقد عبرت عن ذلك إحدى المشاركات في الدراسة بقولها:

" معروف إن بطولة الألعاب الأوليمبية بتتعمل كل كذا سنة، فعلشان توصل للأولمبياد لازم تتمرن سنين بانتظام فالمسؤولين اللي في النادي بيخافوا إن هما يصرفوا على البنت سنة سنتين وتجمع نقط، وتبقي هتقرب توصل للمشاركة في البطولة وتتجوز وتقعد في البيت وتخلف. فبيكونوا خايفين إن هما يصرفوا على أي بنت ممكن في ثانية ما تكملش. فعمومًا اللي بيسافر دلوقتي الولاد مفيش حد بيدعم البنات".

ولا يقتصر التمييز بين الذكور والإناث على المستوى المؤسسي فقط، بل تكشف الروايات التي ذكرتها بعض المشاركات في الدراسة عن تغلغل التمييز النوعي داخل السياق الأسري أيضًا. فبالرغم من وجود اتجاهات إيجابية عند بعض الأسر المصرية نحو إشراك الفتيات الموهوبات في الأنشطة الرياضية والفنية والعلمية المختلفة، وإشراكهن في المسابقات المختلفة، إلا أنه لوحظ وجود توجهات أسرية بتنمية مواهب الفتيات في مجالات تتناسب مع طبيعتهن الجسمانية وأدوارهن الاجتماعية، كما يحرص بعض أولياء الأمور على ألا يكون تنمية مواهب فتياتهن على حساب زواجهن وتكوينهن لأسر في المستقبل، وقد أشارت إلى ذلك ثلاث فتيات موهوبات في المجال الرياضي، حيث أكدن على أن أمهاتهن تحولن -بمجرد التحاقهن بالجامعة- من الحرص على دعمهن في المجال الرياضي لتوجيههن للتفكير في الزواج وتكوين الأسرة. وهو ما قد يعني أن الاهتمامات العائلية الكبيرة نسبيًا بشأن تعليم الفتيات، وتنمية مواهبهن، وتحسين مهارتهن لا تعدو أن تكون خطوة في سبيل غاية أكبر وهي تحسين فرص زواجهن في المستقبل.

أما الشكل الثاني من أشكال التمييز فهو التمييز على أساس العلاقات القرابية، وقد يُعاني من هذا الشكل من التمييز الذكور والإناث على السواء، ويرجع لمحاولات بعض المؤسسات الراعية للمواهب تفضيل بعض الموهوبين ومنحهم بعض الامتيازات عن باقي أقرانهم نتيجة للعلاقات القرابية التي تربط هؤلاء

الموهوبين بالمسؤولين في تلك المؤسسات. ومن صور التمييز التي ذكرها المشاركون على أساس العلاقات القرابية، إبلاغ بعض الموهوبين وأولياء أمورهم بمواعيد المسابقات سواء المحلية والدولية منذ وقت مبكر وقبل الإعلان عنها لجميع الموهوبين، وهو ما يسمح لهؤلاء الموهوبين بالاستعداد لتلك المسابقات بشكل كاف قبل أقرانهم؛ ومن ثم زيادة فرص مشاركتهم في تلك المسابقات، وكذلك الاهتمام في التدريبات بهؤلاء الموهوبين دون غيرهم، مع إعطائهم وقتًا أكبر من الوقت المخصص لأقرانهم.

وتكشف المقابلات المتعمقة عن أن مسؤولية مواجهة التمييز في أي مجال من مجالات الموهبة تقع على عاتق أولياء الأمور والموهوبين أنفسهم، ويتحدد الشخص المسؤول عن مواجهة التمييز بحسب المرحلة العمرية للموهوب. ففي المراحل السنية المبكرة تقع هذه المسؤولية على عاتق أولياء الأمور بشكل أكبر، لأنهم الأكثر وعيًا بمخاطر هذا التمييز، ولأن الأطفال في هذه المرحلة لا يعرفون كيفية التعامل معه. ولذلك يلجأ بعض أولياء الأمور لحضور التدريبات مع أبنائهم، في محاولة منهم لإعطاء أبنائهم فرصًا متساوية في التدريب مثل باقي أقرانهم، أو البحث عن مدربين آخرين إذا ما لزم الأمر، كما يسعى بعض أولياء الأمور لتنويع مصادر معرفتهم بمواعيد المسابقات أو البطولات التي يمكن لأبنائهم المشاركة فيها، خوفًا من أن يكون هناك نقص في المعلومات التي لديهم بشأن تلك المسابقات. وفي الحالات التي يكون فيها الموهوب في عمر يسمح له بالتصدي لأي أشكال للتمييز ضده، تكشف المقابلات المتعمقة عن وجود بعض المحاولات من بعض الموهوبين الذين تصدوا للتمييز الواقع ضدهم، من خلال مطالبتهم للمسؤولين بإعطائهم فرصًا مماثلة لما يحصل عليه أقرانهم سواء في التدريبات أو المشاركة في المسابقات أو الحفلات.

ومن التحديات التي تواجه الموهوبين وأسرهم أيضًا، قضية توافر مدربين مؤهلين، أو أدوات أو خامات مطلوبة سواء للتدريبات أو لتنفيذ بعض متطلبات

الرعاية. ويبدو أن هذه الصعوبة تكاد تكون مشتركة بين جميع مجالات الموهبة الفنية، والرياضية، والأكاديمية، وغيرها. وقد يلجأ الموهوبون وأسرهم لحيل متعددة للتغلب على النقص المتاح في الأدوات أو الخامات المطلوبة، وغالبًا ما يتم توفير هذه الأدوات أو الخامات بمساعدات أسرية، ومن ميزانية الأسرة الخاصة، أو من خلال محاولات فردية من جانب الموهوبين أنفسهم.

٦- مناقشة النتائج:

نستنتج من العرض السابق مدى أهمية الدور الذي تقوم به الأسرة في حياة أبنائها الموهوبين والنابغين، والذي يبدأ منذ وقت مبكر من حياة الطفل ويمتد طيلة سنوات الاكتشاف والرعاية. وبالرغم من أن دور الأسرة لا يزال في الأدبيات الخاصة بالموهبة والإبداع محل جدال وخلاف بين الباحثين والمفكرين، حيث يتجه بعض الباحثين للتأكيد على أن بعض النابغين نشأوا في بيئات أسرية غير مستقرة، ويستدلون على ذلك بأن حياة بعض أعظم العباقرة والمبدعين حول العالم كانت مليئة بالصدمات والمآسي الأسرية المبكرة (Csikszentmihalyi and Csikszentmihalyi, 2007) ، إلا أن نتائج دراستنا الحالية تؤكد على أهمية المناخ الأسري المستقر في دعم المواهب وتنميتها، والذي انعكس بوضوح في تنوع صور الدعم الأُسري المقدم للأبناء، حتى بات هذا الدعم يفوق في أوقات كثيرة الدعم المقدم من المؤسسات الراعية للمواهب في مصر.

وحول طبيعة البيئة الأسرية المصرية ومدى ملاءمتها لرعاية المواهب، اتضح من التحليل أهمية التماسك الأُسري في الوفاء بمتطلبات الرعاية، حيث يتقاسم الآباء والأمهات في هذه الأسر أعباء الرعاية بدلًا من أن تكون مسؤولية شخص بمفرده، كما أظهر التحليل أهمية المستوى التعليمي للوالدين في خلق بيئة إنمائية لمواهب الأبناء، وقد اتضح أهمية المستوى التعليمي للوالدين حتى في الأسر التي كانت تشهد تفاوتات بين المستوى التعليمي للأب والمستوى التعليمي للأم. كما اتسمت غالبية الأسر المشاركة في الدراسة بتوافر قدوة أسرية للموهوب

تشاركه اهتماماته وطموحاته، وتُشكل قوة الدفع الأساسية خلال عمليات الاكتشاف والرعاية. وشكل الآباء والأمهات والإخوة الأكبر سنًا النماذج الأسرية التي اقتدى بها غالبية الموهوبين المشاركين في الدراسة. وبذلك، تتفق هذه النتيجة مع ما أشارت إليه دراسة (Dimitrios Zbainos) التي أكدت على أن نموذج القدوة الأسرية لا يلعبه فقط الآباء والأمهات فحسب، بل قد يصبح الأعمام والأخوال أو أفراد الأسرة الآخرين نماذج أسرية مُلهمة للموهوبين (Zbainos and Kyritsi, 2011). إن وجود قدوة للموهوب داخل الأسرة، تساعد -كما ذكر بارسونز- على إحداث نقل ثقافي للقيم والأعراف والتوقعات الاجتماعية التي يحتاجها الطفل الموهوب للتميز والابتكار (Parsons and Bales, 1956)، والتي يجدها الطفل مجسدة في نموذج القدوة، بحيث تلعب هذه القدوة دور المحفز الخارجي لدافعية الطفل نحو مجال بعينه من مجالات الموهبة (Zbainos and Kyritsi, 2011). وفي الحالات التي لا يكون فيها الأب أو الأم قد سبق لهم ممارسة هواية الطفل نفسها، تؤدى الاهتمامات المشتركة بين الطفل ووالديه الدور نفسه تقريبًا، ففي هذا الحالة يقدم الوالدان دعمًا كبيرًا دافعه الأساسي وجود اهتمامات مشتركة بين الطفل والوالدين (Witte, et al., 2015).

إن الأفكار التي طرحها بورديو حول الدور الذي تلعبه البيئة الأسرية في تنمية المواهب كانت حاضرة بقوة في هذه الدراسة، خاصة ما يتعلق منها بتراكم العناصر الرمزية لرأس المال الثقافي بشكله المتجسد خلال مراحل الطفولة المبكرة، وما يتطلبه ذلك من إجراءاتٍ تربوية من جانب الأبوين، واستثمار للوقت من قبل الوالدين أو أفراد الأسرة الآخرين في نقل هذه العناصر الرمزية للطفل، وكيف أن تراكمات هذه العناصر الرمزية تخلق للطفل اهتمامات مبكرة بحقول الحياة الاجتماعية المختلفة الفنية، الرياضية، الأكاديمية، وتُسهم بعد ذلك في إحساس الطفل بالتميز والاختلاف عن باقي أقرانه (Bourdieu and Passeron, 1990; Bourdieu and Richardson, 1986: p.258). فقد كشفت النتائج عن أن الكثير من الموهوبين المشاركين في الدراسة استكملوا مسيرات فنية أو رياضية

أو أكاديمية سابقة لأحد والديهم، أو أحد إخوتهم الأكبر سنًا، وهو ما يكشف عن الأبعاد الاجتماعية للموهبة بحسب تعبير بورديو، والتي تتجاوز الاعتبارات البيولوجية البحتة التي نادت بها البحوث النفسية لردحٍ من الزمن. وبالرغم من أهمية الأفكار التي طرحها بورديو في هذا الصدد، إلا أن بورديو وقع في خطأ تفسير الموهبة على أسس طبقية، حتى بدت المواهب وكأنها مقصورة على أبناء الطبقات العليا والمتوسطة ممن يمتلكون موارد مادية تمكنهم من الوصول إلى الموارد الثقافية المختلفة، لكن نتائج دراستنا الحالية تُؤكد عدم صحة هذا الزعم في بعض جوانبه، وتتفق مع ما أشارت إليه دراسة سعيد المصري عن فقراء حي بولاق بالقاهرة، فجميع الطبقات الاجتماعية تمتلك مواهب مختلفة، ولديها القدرة على الإبداع والإضافة لعناصر ثقافتها (المصري، ٢٠١٢: ص ص ٤٣١-٤٤٨)، أو بمعنى آخر تمتلك عناصر رمزية تُشكل حصيلة ما يمتلكه أبناء كل طبقة اجتماعية من مواهب وقدرات، إلا أن أساليب حياة الأسر في التعامل مع الموهبة والموهوبين، ومدى الوعي بالموهبة، وكيفية احتضانها ورعايتها، والقدرة على الاستثمار في تنميتها قد تختلف من أسرة لأخرى بحسب وضع الأسرة على سلم التدرج الطبقي. ولعل هذه النتائج تفسر لنا سر المواهب الغنائية والرياضية التي ظهرت في مصر مؤخرًا بين أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة، واستطاعت أن تحقق مستويات عالية من التفوق والنبوغ. لقد عانى بعض الأطفال المشاركين في الدراسة من عدم توافر الموارد المالية اللازمة لرعاية مواهبهم في مراحل مختلفة من حياتهم، وهو ما يعكس حقيقة وضعهم الطبقي المتدني، لكنهم تمكنوا من خلال البرامج التي تُنفذها المؤسسات الحكومية والأهلية لرعاية الموهوبين من خوض غمار المنافسات والمسابقات المختلفة، وحققوا مراكز متقدمة، واستطاع بعضهم الحصول على جوائز مالية قيّمة، ساعدتهم على استكمال مسيرتهم الفنية أو الرياضية أو الأكاديمية، وهو ما حاول بورديو نفسه أن يؤكد عليه عند حديثه عن قاعدة التحول في أشكال رؤوس الأموال، حيث أكد على أن رأس المال الثقافي لديه قابلية كباقي أشكال رؤوس المال للتحول إلى أشكال أخرى من رأس المال (العريفي، ٢٠٠٩: ص ص ١٣٠-١٣١).

قائمة المراجع

أولًا- المراجع العربية:

(١) أحمد إسماعيل أحمد السباتين. (٢٠١١). أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بدافعية الإنجاز والتكيف المدرسي لدى الطلبة الموهوبين وأقرانهم العاديين. رسالة دكتوراة. الأردن، جامعة عمان العربية، كلية العلوم التربوية والنفسية.

(٢) أشرف عبد الوهاب. (٢٠٠٣). نظرية رأس المال الثقافي. أدب ونقد، عدد (٢٠)، مجلد (٢١٧). ص ص١٢٢-١٣٧.

(٣) أمينة رمضان علي العريفي. (٢٠٠٩). النظرية والمنهج في الفكر الاجتماعي لبيير بورديو: دراسة نقدية. رسالة دكتوراة غير منشورة. جامعة القاهرة: كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ص ص١٣٠-١٣١.

(٤) أندرو إدجار، وبيتر سيدجويك. (٢٠٠٩). *موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية*. ترجمة: هناء الجوهري. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

(٥) جوردن مارشال. (٢٠٠٠). *موسوعة علم الاجتماع*. ترجمة بإشراف محمد الجوهري. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

(٦) خالد كاظم أبو دوح. (٢٠١٩). رأس المال الثقافي: مقاربة سوسيولوجية. *مجلة التفاهم*، العدد (٦٣)، ص ص٣٢١-٣٣٦.

(٧) رانيا عبد المعز علي محمد الجمال. (٢٠١٠). دراسة مقارنة لتربية الأطفال الموهوبين قبل المدرسة في كل من جمهورية مصر العربية وفرنسا. مستقبل التربية العربية، مج ١٧، ع ٦٥، ٢٣٥ - ٣٩٤.

(٨) زين العابدين درويش، وآخرون. (٢٠٠٩). معالم الصورة الذهنية السائدة عن الموهبة والموهوبين لدى عينة من الجمهور العام في مصر. القاهرة: مجلس الوزراء المصري، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

(٩) سامية مصطفي الخشاب. (٢٠٠٨). النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة. ط١. القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية. ص٣٤.

(١٠) سعيد المصري. (٢٠١٢). إعادة إنتاج التراث الشعبي: كيف يتشبث الفقراء بالحياة في ظل الندرة. ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

(١١) سهى بدوي محمد منصور. (٢٠٢١). أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتفكير الابتكاري لدى التلاميذ الموهوبين ذوي صعوبات التعلم. *المجلة التربوية*، المجلد (٨٩)، ص ص١٣٩٣-١٤٥٥.

(١٢) شارلوت سيمور سميث. (٢٠٠٩). *موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية*. ط٢. ترجمة: محمد الجوهري وآخرين. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

(١٣) عادل عبد الله محمد. (٢٠٠٥). *سيكولوجية الموهبة*. بدون طبعة، القاهرة: دار الرشاد، سلسلة ذوي الاحتياجات الخاصة (٩).

(١٤) عادل عبد الله محمد. (٢٠١٠). تقييم واقع الموهوبين بالتعليم العام في مصر. المؤتمر العلمي - اكتشاف ورعاية الموهوبين بين الواقع والمأمول. جامعة بنها: كلية التربية. ص ص٤٩-٦٢.

(١٥) عبد الله بربزي. (٢٠١٢). آليات الخطاب السوسيولوجي عند بيير بورديو بين التنظير والممارسة. مجلة الحوار المتمدين. العدد (٣٨٢٩). ص ص ١٤-٢٣.

(١٦) غادة إبراهيم الدسوقي. (٢٠١٦). دراسة مقارنة لأساليب تربية الموهوبين بمرحلة الطفولة في مصر والصين. مجلة كلية التربية في العلوم التربوية، مج ٤٠، ع ٣، ص ص٢٤٧-٣٠٩.

(١٧) فهد صالح محمد الزهراني. (٢٠١٨). أساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة الموهوبين بمحافظة جدة، دار سمات للدراسات والأبحاث. *المجلة الدولية التربوية المتخصصة*، المجلد (٧)، العدد (٢)، ص ص١٦٩-١٨١.

(١٨) فهد صالح محمد الزهراني. (٢٠١٩). أساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة الموهوبين في المرحلة المتوسطة والثانوية بمنطقة مكة المكرمة. *مجلة كلية التربية*، المجلد (٣٥)، عدد (١٢)، ص ص١٤٢-١٦٨.

(١٩) نجلاء محمد حامد، أيسم سعد محمدي محمود، وعصام جمال سليم غانم. (٢٠١٩). السياسات والممارسات الإدارية التربوية اللازمة لاكتشاف ورعاية الموهوبين في المدارس المصرية في ضوء خبرات بعض الدول المتقدمة. المجلة الدولية لعلوم وتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، ع ١٦، ص ص١١ - ٧٠.

(٢٠) وائل وفيق رضوان، ودينا سعد سعد الحسنين. تصور مقترح لتطوير طرق التعامل مع الطلاب الموهوبين بالتعليم قبل الجامعي في ضوء التجارب العالمية، جامعة دمياط، مجلة كلية التربية، العدد (٧٦)، يناير ٢٠٢١، ص ص٢٥٧-٢٨٠.

(٢١) ولاء إبراهيم عثمان السيد. (٢٠١٦). المناخ الأسري وعلاقته بدافعية الإنجاز والثقة بالنفس لدى الطلاب الموهوبين بمدارس الموهبة والتميز بولاية الخرطوم. رسالة دكتوراة. جامعة النيلين: كلية الدراسات العليا.

ثانيًا المرجع الأجنبية:

(1) Adams, B. N., & Sydie, R. A. (2001). *Sociological theory*. Sage Publications. pp.20-21

(2) Ayoub, A. E. A., Abdulla Alabbasi, A. M., & Morsy, A. (2022). Gifted education in Egypt: analyses from a learning-resource perspective. Cogent Education, 9(1), 2082118: pp3-4.

(3) Bélanger, J., & Gagné, F. (2006). Estimating the size of the gifted/talented population from multiple identification criteria. *Journal for the Education of the Gifted*, *30*(2), 131-163.

(4) Ben-Artzey Schieber, N. (2019). The gifted child as an equal partner or minority in the sibling relationship: The parents' perspective. *Child Indicators Research*, *12*(6), p2152.

(5) Berger, S. L. (1990). *Mentor relationships and gifted learners*. ERIC Clearinghouse.

(6) Bicknell, B. (2014). Parental roles in the education of mathematically gifted and talented children. *Gifted Child Today*, *37*(2), 83-93.

(7) Borgatta, E. F., & Montgomery, R. J. (2000). Encyclopedia of Sociology, Vol. 2, Macmillan USA-Gale Group. Indo Buku. p.964.

(8) Boston, B. O. (1976). The sorcerer's apprentice: A case study in the role of the mentor. Available at: https: //files.eric.ed.gov/fulltext/ED126671.pdf

(9) Bourdieu, P. (1993). *Sociology in question*. Vol. 18. Sage.

(10) Bourdieu, P., & Passeron, J. C. (1990). *Reproduction in education, society and culture* (Vol. 4). Sage.

(11) Bourdieu, P., & Richardson, J. G. (1986). Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education. *The forms of capital*, *241*, 258.

(12) Bruce, S., & Yearley, S. (Eds.). (2006). The Sage dictionary of sociology. Sage. p104.

(13) Bruce, Steve and Steven Yearley. "Family." In *The SAGE Dictionary of Sociology*. London: SAGE Publications Ltd, 2006.p.104.

(14) Carducci, B. J., Nave, C. S., Di Fabio, A., Mio, J. S., Riggio, R. E., Saklofske, D. H., & Stough, C. (2020). The Wiley Encyclopedia of Personality and Individual Differences, Set. John Wiley & Sons.

(15) Carmen Mills (2008): Reproduction and Transformation of Inequalities in schooling: the Transformative Potential of the Theoretical Constructs of Bourdieu, British Journal of Sociology of Education, 29: 1, 83-85.

(16) Chan, D. W. (2005). Family environment and talent development of Chinese gifted students in Hong Kong. *Gifted Child Quarterly*, *49*(3), 211-221.

(17) Csikszentmihalyi, M., & Csikszentmihalyi, I. S. (2007, September). Family influences on the Development of Giftedness. In *Ciba Foundation Symposium 178-The Origins and Development of High Ability: The Origins and Development of High Ability: Ciba Foundation Symposium 178* (pp. 187-206). Chichester, UK: John Wiley & Sons, Ltd..

(18) Edwards, R., & Ribbens McCarthy, J. (2010). Key concepts in family studies. *Key Concepts in Family Studies*, 1-256.

(19) El Khoury, S., Al-Hroub, A., Al-Hroub, A., & El Khoury, S. (2018). Definitions and Conceptions of Giftedness around the World. Gifted Education in Lebanese Schools: Integrating Theory, Research, and Practice, 9-38.

(20) Feldhusen, J. F., & Hoover, S. M. (1986). A conception of Giftedness: Intelligence, Self Concept and motivation. Roeper Review, 8(3), 140-143.

(21) Hein, S., Tan, M., Aljughaiman, A., & Grigorenko, E. L. (2014). Characteristics of the Home Context for the Nurturing of Gifted Children in Saudi Arabia. *High ability studies*, *25*(1), 23-33.

(22) Iqbal, M., & Roberts, A. (2019). Teachers’ perception of students’ Performance in the Architectural Design Studio in the light of Bourdieu. *British Journal of Sociology of Education*, *40*(8), 1154-1169.

(23) Kao, C. Y. (2011). The dilemma of competition encountered by musically gifted Asian male students: An exploration from the perspective of gifted education. *High Ability Studies*, *22*(1), 19-42.

(24) Kerr, B. (Ed.). (2009). Encyclopedia of giftedness, creativity, and talent (Vol. 1). Sage.

(25) Koksal Akyol, A. and G. Salı, (2013). Examination of the self-concept and the Social Support Perception of the Children who are Being Educated in the Normal or Boarding Schools, Kastamonu Journal of Education, 21(4): 1377-1398.

(26) Kostenko, K., & Merrotsy, P. (2009). Cultural and social capital and talent development: A study of a high-ability Aboriginal student in a remote community. *Gifted and Talented International*, *24*(2), 39-50.

(27) Lareau, A. (2002). Invisible inequality: Social Class and Childrearing in Black Families and White Families. *American sociological review*, 747-776.

(28) Leeder, E. J. (2004). *The family in global perspective: A gendered journey*. Sage.

(29) Mazzoli Smith, L. (2014). Extending sociological theorising on high ability: the significance of values and lived experience. *International Studies in Sociology of Education*, *24*(4), 354-371.

(30) Mazzoli, S., & Campbell, J. R. (2012). Families, Education and Giftedness: Case Studies in the Construction of High Achievement. p32.

(31) Mills, C. (2008). Reproduction and Transformation of Inequalities in Schooling: The Transformative Potential of the Theoretical Constructs of Bourdieu. *British Journal of Sociology of education*, *29*(1).

(32) Mollenkopf, D. L., Matyo-Cepero, J., Lewis, J. D., Irwin, B. A., & Joy, J. (2021). Testing, Identifying, and Serving Gifted Children With and Without Disabilities: A Multi-State Parental Perspective. Gifted Child Today, 44(2), 83–92.

(33) Mudrak, J. (2011). 'He was born that way': parental constructions of giftedness. *High Ability Studies*, *22*(2), 199-217.

(34) Nguyen, T. M. P., Jin, P., & Gross, M. U. (2013). Confucian values in Vietnamese gifted adolescents and their non-gifted peers. *Gifted and Talented International*, *28*(1-2), 227-238.

(35) Olszewski-Kubilius, P., Lee, S. Y., & Thomson, D. (2014). Family environment and social development in gifted students. *Gifted Child Quarterly*, *58*(3), 199-216.

(36) Olszewski-Kubilius, P., Subotnik, R. F., & Worrell, F. C. (2015). Conceptualizations of giftedness and the development of talent: Implications for counselors. Journal of counseling & development, 93(2), 143-152.

(37) Parsons, T., Bales, R. F., & Olds, J. (1956). Family socialization and interaction process (Vol. 7). *Great Britain: Routledge*. pp.35-131.

(38) Reay, D. (2004). Education and Cultural Capital: The Implications of Changing Trends in Education Policies. *Cultural trends*, *13*(2), 73-86.

(39) Rindermann, H., & Ceci, S. J. (2018). Parents' education is more important than their Wealth in Shaping their Children's Intelligence: Results of 19 samples in Seven Countries at Different Developmental Levels. *Journal for the Education of the Gifted*, *41*(4), 298-326.

(40) Ross, P. O. C. (1993). National excellence: A Case for Developing America's Talent. Office of Educational Research and Improvement, US Department of Education.

(41) Saranli, A. G., & Metin, E. N. (2014). The Effects of the SENG Parent Education Model on Parents and Gifted Children. *Online Submission*, *39*(175), 1-13.

(42) Sternberg, R. J., & Davidson, J. E. (Eds.). (2005). Conceptions of giftedness (Vol. 2). New York, NY: Cambridge University Press.

(43) Stoeger, H. (2009). the History of Giftedness Research. In *International Handbook on Giftedness* (pp. 17-38). Springer, Dordrecht.

(44) Sullivan, L. E. (Ed.). (2009). "Family." In *The SAGE Glossary of The Social and Behavioral Sciences*. Sage. p.199.

(45) Turner, J. H. (2017). Functionalism. *The Wiley-Blackwell encyclopedia of social theory*, 1-9.

(46) Witte, A. L., Kiewra, K. A., Kasson, S. C., & Perry, K. R. (2015). Parenting Talent: A Qualitative Investigation of the Roles Parents Play in Talent Development. *Roeper Review*, *37*(2), 84-96.

(47) Zbainos, D., & Kyritsi, A. (2011). Greek Talented Students' Motivation: A Qualitative Analysis. *Gifted and Talented International*, *26*(1-2), 131-142.